الحب المستحيل

أنور صباح محمود محمد

الحب المستحيل

تأليف

أنور صباح محمود محمد





الحب المستحيل

أنور صباح محمود محمد

The impossible love

Anwar Sabah Mahmoud Mohammed

الطبعة الأولى ٢٠١٧م

إصدار دار سطور للنشر والتوزيع

بغداد - شارع المتنبي – مدخل جديد حسن باشا

هاتف: ٠٧٧١١٠٠٢٧٩٠ – ٠٧٧٠٠٤٩٢٥٧٦ – Email: bal_alame@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة للدار والمؤلف أنور صباح محمود محمد، حسب قوانين الملكية الفكرية للعام ١٩٨٨، ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الطرفين .

First Published by Dar Sutour For Publishing and Distribution
Baghdad - Iraq – Al Mutnabi street – Jadeed Hasan Basha Entry

Revised copyright © Dar Sotour And Anwar Sabah Mahmoud Mohammed‘ The right of the Author of this work has
Been asserted in accordance with the Copyright‘ Designs and Patents Act 1988

هام : أن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، أو محورها، أو الجهة الصادرة عنها، ولا تعبر بالضرورة عن راي الناشر.

ISBN: 978 - 1- 77322 - 364 - 3

الحب المستحيل

-١-

قطرة مطر على الصحراء

المكان: المكتبة المركزية – الجامعة المستنصرية.

الزمان: تموز ٢٠١٦.

الوقت: التاسعة صباحا.

كان مهند رجلا عاديا . يبلغ من العمر متوسط الثلاثينيات . وكان يعمل امينا في احدى المكتبات الجامعية . كتبت عليه الاقدار ان يعيش معاناة العراق وجروحه . استشهد والده في احدى حروب العراق الدموية وتدهورت صحة والدته ومنعه احد زملاؤه من اكمال دراسة الدكتوراه التي كانت حب حياته والطموح الوحيد الباقي لديـــــه . اتشحت روحه بالسواد وسيطر الظلام واليأس على قلبه . من السهل ان يصل السواد الى ملابس الانسان ، الا أن يصل الى لباب قلبه فذلك امر اخر. وظل لفترة يظن انه ليس من شغل للاقدار الا ان تفسد حياته ، وكأن هذا العالم اتخذ قرارا بمحاربته ومن دون سبب يمكن ان يفهمه . لقد كان يعيش في وحدة متجددة ويأس مفعم بالحيوية. قرر ان ينعزل عن الدنيا ، وصار الكتاب سلوته الوحيدة في حياته . واصبحت السعادة حلما بعيدا اشبه بنجمة الزهرة . تشابهت الايام جميعا . ولم يعد هناك من طعم لأي شي إلا سيكارته التي أصبحت رفيقته الوحيدة بعد حاسوبه .

رن جرس المحمول في احد الايام ، ذلك الجهاز الذي كان يكرهه اكثر من أي شيء أخر . لقد كانت من احد الاساتذة الذي يعرفهم.

د.سعاد: مرحبا مهند كيف الصحة.

مهند: مرحبا دكتورة مشتاقين.

وبعد السلامات الكثيرة في بلد الحروب الكثيرة ، طلبت منه الاستاذة خدمة صغيرة .

د.سعاد: سوف ارسل اليك احدى طالباتي انها تهتم بنفس الموضوع الذي تهتم به ، وارجو منك ان تساعدها.

مهند: تدللين دكتورة انتي وياها.

اذ لم يكن مهند يألو جهدا في مساعدة أي محتاج للعلـــم . كان يبلغ قمة سعادته عندما يقدم لأي باحث او دارس معونه ، او يجد له كتابا يطلبه .

طرقت باب غرفته في يوم بائس مثل كل ايامه . اجاب قائلا "ادخل " . واذا بها تفتح الباب . نظر اليها ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة. كانت اشبه بهطول المطر على صحراء الجزيرة.

ليلى: انا ليلى طالبة الماجستير من طرف الدكتورة سعاد ، انت استاذ مهند.

كانت الكلمات تخرج ببطء من فمها ، وكأن شيئا ما قد حصل . وتسأل ، هل صالحني الزمان مع الاقدار بعد عشر سنين من التعذيب والقهر.

مهند: نعم ، اني مهند، استريحي تفضلي .

كانت عيناها المدورتان اول ما جذبه فيها . تأملها بتمعن من دون أن يحرجها ، ولعلها ادركت منذ اللحظة الاولى انها ايقظت فيه شيئا . صار فجأة يفكر بشيء اسمه الزواج وعادت، روحه لتزهر من جديد . لم يعد يهتم بأفلام الرعب والتعذيب وعادت ام كلثوم ببرائتها وبياض صورها الشعرية لتدخل عالمه من جديد . هذه ليلتي وحلم حياتي ، وتعال احبك الان اكثر.عاد الحب اليه مرة اخرى . اصبح متلهفا لرؤيتها . انه في حالة حب جديد . كلم والدته عنها.

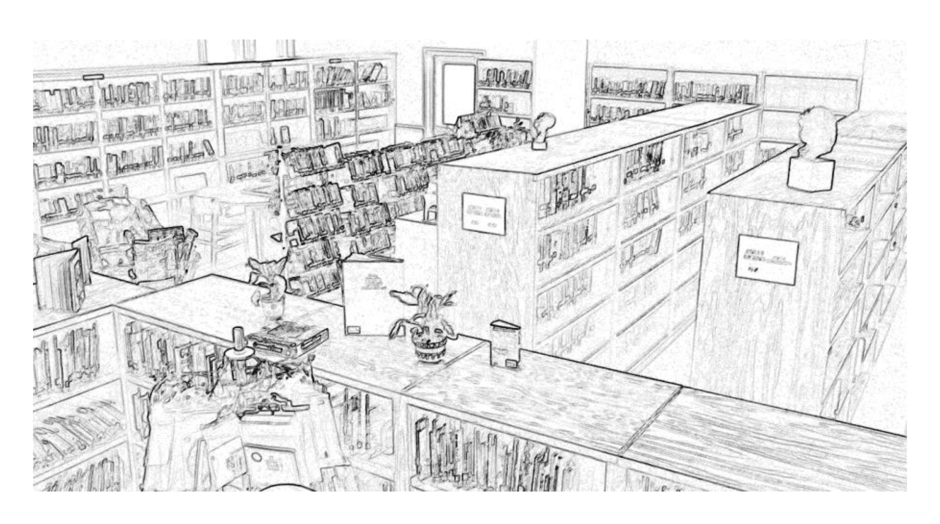
مهند: ماما لكيت بنية عاجبتني ... واريد اتزوجها.

لم تتمالك الام نفسها واجابته بسرعة.

ام مهند: يلا يا ابني اتوكل على الله اندعيلك . يلا خلي نفرح.

كانت تتمنى ان يتزوج ولدها الوحيد ، وكانت تدرك انه لن يخرجه من حالة الحزن والالم التي يمر بها الا زوجة حنونة وطفل جميل يملأ حياته . ذهب الى الدكتورة سعاد.

مهند: دكتورة اريد اسأل على ليلى مرتبطة لا ، اهلها.



وادركت الدكتورة ان الرجل في حالة حب فاخبرته بأنها تناسبه وان اهله واهلها من وسط واتجاه متقارب جدا . عندها ازدادت فرحته وقرر ان يكلمها . جلس معها في النادي وابتدأ يحكي لها قصة حياته.

مهند: عندما تزوج والداي ، انجبا طفلا جميلا اسمياه عمر. ربياه لستة شهور ومات . ولشدة حزن والدي قلت لهما . لا تحزنا عندما اتزوج وانجب ولدا ساسميه عمر. وصرت في منتصف الثلاثين من عمري ولم يأت عمر بعد.

وتوالت الكلمات منه تارة ومنها اخرى . تأكد بأنهما خلقا لبعضهما البعض . مرت قرابة الساعتان وهي اطول مدة متصلة قضاها يتحدث مع امرأة اخرى طوال الخمسة والثلاثين تموزا

التي عاشها . لم يكن يتوقع انه بعد ذلك التبتل تتغير الامور.

لم يكن مهند قد عاش قصة حب او تعارف مع امرأة اخرى، كان عازبا وعذريا قلبا وجسدا حد الجنون . وتوالت الجلسات . والاكثر من ذلك صار يحب المحمول عدوه اللدود ينتظر رنتها ، بل ويكلمها لساعات. صار يضع في كل يوم بطاقة وربما اثنتان ، وصار هاتفه دائما مشغولا " صباح الخير حبيبتي ... انت وين ... شكلتي اليوم ... اني زين ... اني بالجامعة ... لا وحدي والله ماكو وحدة يمي " . ويستمتع كثيرا عندما يقف بين زملاؤه ويقول لها " مع السلامة حبيبتي " . أصبح يحب أن يسير معها في الشوارع . يستمتع بان يرى الرجال حبيبته ، ولكنهم لا يتحرشون بها لأنه يسير معها . صارت الحياة فجأة بلون أخر ، وصار لكل شيء طعم ولون ورائحة جميلة . ولم تمض بضعة أيام حتى كان يقرأ الفاتحة مع والدها . وامتلأت الحياة بالزغاريد التي كانت عنده أشبه بزقزقة العصافير التي صار يحبها .

- ٢ اللقاء الاخير -

المكان: ساحة اللقاء – بغداد.

الزمان: آب ٢٠١٦.

الوقت: العاشرة صباحا.

كان الموعد في ساحة اللقاء من اجل شراء غرفة النوم . ولدى خروجهما من احد المخازن التي تبيع الاثاث، وعلى مسافة ليست بعيدة كان هناك مجموعة من سيارت تبدو انها لشخصية ما . جاء بسرعة أمامها مجموعة من سيارات رباعية الدفع مظللة وبدون ارقام . ترجل منها اناس ملثمون يخشون ان يرى العالم وجوههم القذرة . التمعت من اعينهم شرارات الموت وفاحت رائحة الخوف . وسرعان ما بدأت معركة حامية بين الطرفين واشتعل الرصاص من كل جانب . لحظات وانتهى كل شيء . اما مهند فطلب من ليلى ان تنخفض قليلا . والتفت اليها ليصعق من المشهد . كانت عينيها مليئة بالخوف ، واضعة يدها على قلبها ، والتي اصطبغت باللون الاحمر . لقد اصابتها رصاصة طائشة . حملها كالمجنون وانطلق بسيارته الى المستشفى . وكانت تستنجد به في السيارة.

ليلى: النجدة مهند... النجدة مهند.

وصل الى الطوارئ ، اخذها الاطباء الى غرفة الانعاش . خرج الطبيب بعد دقائق كان مهند اتصل فيها بأهل ليلى .

الطبيب: البقية بحياتك ... اقرأ لها الفاتحة.

وفجاة اختل كل شيء مجددا ، لا بل انهار كل شيء.

مهند: ليس مرة اخرى .لا لا ، لن ابكي ولن اصرخ ، لن يحترق قلبي مرة اخرى.

ارتسم على وجه تعبير يفيض بالرعب ان تكون هذه اشبه بحادثة والده ، وان تكون بداية لعشر سنين اخرى من العذاب . يدرك انه لم يعد باي حال قادرا على مواجهتها . هجم على باب غرفة الانعاش . لحقه الطبيب ومعه الممرضات . كان يصرخ بدون وعي يناديها.

مهند: ليلى ليلى ... حبيبتي.

كانت عيناه تحمر ، وشفتاه ترتجف . كان جسده كله يرتجف . سارع الاطباء الى اعطاءه ابرة مهدئة . حملوه ووضعوه على سرير وبدا ان مفعول الابرة اخذ يعمل . دخل في حرب مع جسده . كانت عيناه مفتوحة ، وتسيل منها الدموع . بل تكاد تنفجر وكان يصارع ليتحرك . وصارت تلك الابرة المهدئة التي يفترض بها ان تهدأه عذابا له . بالنسبة لمهند يجب ان يصبح كل شيء في العراق عذابا . كان مصرا مع هذا ان لا يعيش الماساة وان لا يتخلى عن ليلى . استجمع كل عزيمته واستنزل غضبه واحقاده ولعناته على هذا البلد القفر القاسي الذي ياخذ منه كل شيء يحبه . ووقفت الكلمة على فمه ، حاول مرة ولم يقدر ، واخرى ، واخرى . واخيرا انفجرت الصرخة من فمه.

مهند: اه ه ه ه ه ه .

ايقظ بصراخه المستشفى . وهرع المدير من الطابق الثاني الى الطوارئ . وتجمعوا حوله ليدركوا العذاب الذي وضعوا هذا الشاب فيه ، فيما تصارع عيناه الشاخصتان الى السقف بالدموع وحنجرته بالصراخ يأبى جسده الاستجابة له . اخيرا ، استسلم . فنحن في بلد الاستسلام . الاستسلام للمحتل والاستسلام للسراق ، والاستسلام للخونة ، والاستسلام للاقدار. قام اهل ليلى اثناء ذلك بدفنها ، وكان اخوها الاصغر بجواره. طبعا لم يتجرأ احد على ان يخبر والدته المسكينة . وعندما نهض من سريره كانوا قد انتهوا من دفنها وكان توازنه عاد اليه . وادرك ما حل به .

اتصل على الفور بوالدته ليطمئنها عليه ، رغم انها أحست بخطب ما وقع لابنها . ركب سيارته وانطلق الى مكان المقبرة. يقال انه اذا مات احد عزيز على شخص يجب ان يقف على دفنته حتى ينقطع قلبه منه ويثق ان مات . كان عازما ان لا ينهار وان لا يبكي كما فعل عند قبر والده . وعندما وصل وجد ام ليلى واختها ووالدها عند القبر . تلاشت قوته وعهوده بالصبر وتملكه الجزع . سقط على ركبتيه ، ونزلت الدموع من عينيه . تذكر عينيها ، وضحكتها ، وكيف كانت تتدلل عليه . تذكر تلك الكلمة التي غيرت كل حياته " حبيبي " .

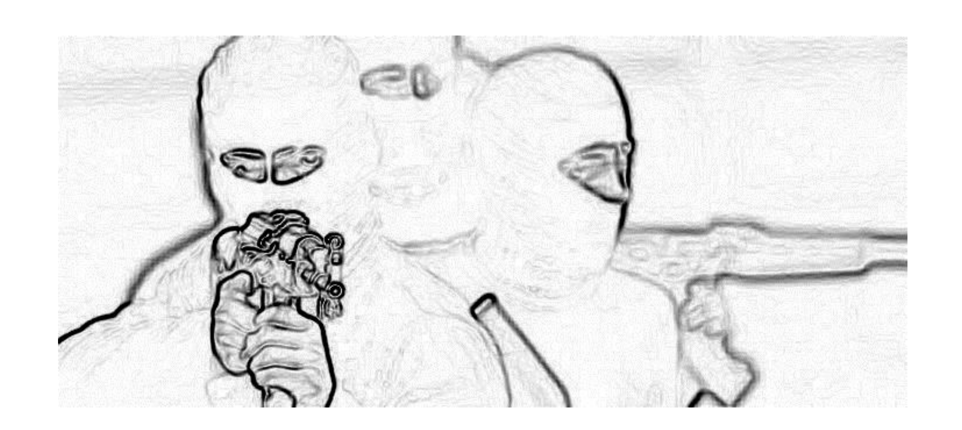
قضى ليلته الاولى نائما الى جوار قبرها ، بكل ما تعنيه الكلمة . لم يستطع حارس المقبرة إقناعه بالخروج . وبعد توسل اهلها والنظر لحاله وافق ، على ان يأتوا صباحا لأخذه . وجاء الصباح وافتقده زملاؤه وأصدقاؤه . كان مهند شخصا

حاضرا في مكان عمله . وعلمت الام بنكبة ولدها ، واحتضنته لدى عودته وراحت تبكي وتهون عليه . لكنه كان عازما على الانتقال الى عالم أخر . كان عقد العزم على ان يلحق بوالده وحبيبته .

توالت الايام حزينة وكئيبة . كان كل يوم يخرج من الصباح الباكر ويضع سيارته قرب المقبرة ويبقى فيها ويسمع احلى اغاني ام كلثوم رغم حزنه . يبكي ويبكي ويبدو ان البكاء لا نهاية له . وعندما تفتح المقبرة كان يذهب الى قبرها وينام بجواره رغم امتعاض الحارس . كان يتمسح بتراب القبر . يقبل التراب والحجر ويبتلع ترابه كالمجنون . ويبقى مستلقيا بجوار قبرها طوال اليوم . وياتي حارس المقبرة اليه.

حارس المقبرة: يا ابني اتق الله ما يصير هذا اللي تسوي بنفسك.

لكن مهند بدأ يفقد شعوره بالعالم الخارجي شيئا فشيئا . لم يعد يسمع الناس او يراهم على حقيقتهم . بدات روحه في التحول الى عالم اخر رغما عن ارداة الجسد ورغما عن ارادة الناس وربما رغما حتى عن ارادة الخالق .



-٣-

الموت حبا

المكان: المكتبة المركزية – الجامعة المستنصرية.

الزمان: أيلول ٢٠١٦.

الوقت: الثانية عشر ظهرا.

وجاء زملاؤه في العمل ومعهم اهل ليلى ليحاولوا اقناعه بان يتوقف عن الاستلقاء عند قبرها والبكاء عليها . كان اكبرهم سنا رجلا اسمه صباح . كان مهند يراه قريبا من الاب له ، وهو الذي ذهب معه ليخطب ليلى . وكان معهم عواد زميله في العمل ، وصديقاه سناء ومنير . خدروه اول مرة وحملوه الى البيت . تكلم عواد عن ما رآه من مهند امام من في المكتبة باستغراب وربما باعجاب . وتساءلت النسوة في المكتبة.

اميرة: هل يمكن أن يوجد مثل هذا الحب في زماننا.

مرة الايام وطالت لحيته وملئها الشيب . شيب كثيف ، وغارة عيناه . لم يعد يحب الكلام . ولم يعد يأبه او يخاف من أي شيء . واخيرا ، قرر ان يستجيب لنداء الاصدقاء والام الثكلى بالعودة الى دائرته . لم يزد شيء على مكتبه باستثناء

صورة ليلى . حتى جاء يوم الثلاثاء . دخلت عليه امينة المكتبة والتي تذكره بفنجان كلما عملت قهوة .

قرعت ام وجدي باب الغرفة ولكن مهند لم يجب . دخلت تحمل فنجان القهوة . كانت غرفة مهند عادية . الاضواء لامعة ، والحاسوب يعمل . واغنية ام كلثوم من اجل عينيك تملأ المكان صخبا . وسيكارته مازالت مشتعلة . وبجانبه زجاجة الماء وحاسوبه الصغير . كان نائما على مكتبه . وصورة ليلى على وجه.

ام وجدي: يمه مهند هاي الكهوة ... اكو واحد ينام بالدائرة ... مهند مهند.

ربت على كتفه . كان باردا . ولم يرد . سقط فنجان القهوة من يد المرأة . وصرخة طالبة العون . لم يكن مهند نائما . لقد مات . لم يستطع ان يحرق نفسه مثل البوعزيزي التونسي ولأن العراقي دائما معروف بقوته وشجاعته . وجد طريقة اعظم ليحتج على قسوة الناس وإهمالهم ولامبالاتهم في بلده. تخلى بملء ارادته عن اعز ما يملكه من اجل حبيبته ووالده ، تخلى عن حياته . كان معلما . علم العراقيين انه في زمن المستحيل ، سوف يصنع حبا مستحيلا.

ملاحظة: لا يمكن ان تجعل من كل انسان معلما ... لكن بالضرورة فان كل معلم هو انسان.

صرخة استغاثة



صرخة استغاثة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

قرآن كريم

ان كل رجال الدين المسلمين الذين اصدروا الاف فتاوى الكراهية والتكفير والحض على القتل والتدمير ، لم يكلفوا انفسهم التفكير لماذا اختزل الله تعالى الخالق العظيم رسالاته بكلمة واحدة ... الرحمة .

عند المسيحيين ... الرب رحمة .

وعند المسلمين ... وما ارسلناك الا رحمة.

الرحمة ... مفتاح الحب والسعادة ومستنزل البركات.

ترى هل وقف احدنا امام المراة وسال نفسه ... هل في قلبي رحمة او شيئ يسير منها.

كاليماخوس القوريني

المكان : المكتبة .

الزمان : يوم الاحد (بداية اسبوع جديد).

الوقت : التاسعة صباحا.

طرق ابراهيم الباب.

ابراهيم : صباح الخير استاذ امجد هاي الصورة اللي طلبتها .

امجد : ممنون ابراهيم شكرا.

ابراهيم : محتاج شي بعد استاذ .

امجد : شغلة وحدة. اكو صورة امام الدرج لواحد شايب يدخن جكارة . ممكن اتجيبها .

لم تمض لحظات حتى اتى ابراهيم بالصورة الاخرى . سرعان ما مزق امجد الغلاف عن الصورة الجديدة لتظهر صورة توحي بانها لرجل في العهد الروماني او اليوناني. وضع امجد الصورتان بجوار بعضهما البعض. وراح يتأملهما وسط استغراب زملاؤه في الغرفة . اذ عادة ما تكون غرفة

امجد هي المزار الصباحي للكثير من موظفي المكتبة . ربما بسبب طيبة قلب من يجلس فيها دوما ، وربما بسبب رائحة شاي أم محمد التي لا تقاوم .

كان عددهم خمسة او ستة . الحقيقة انه كان مهتما بالصور اكثر. استدار فجأة بدون سابق انذار ، وخاطب الحاضرين قائلا.

أمجد : أقدم لكم كاليماخوس القوريني .

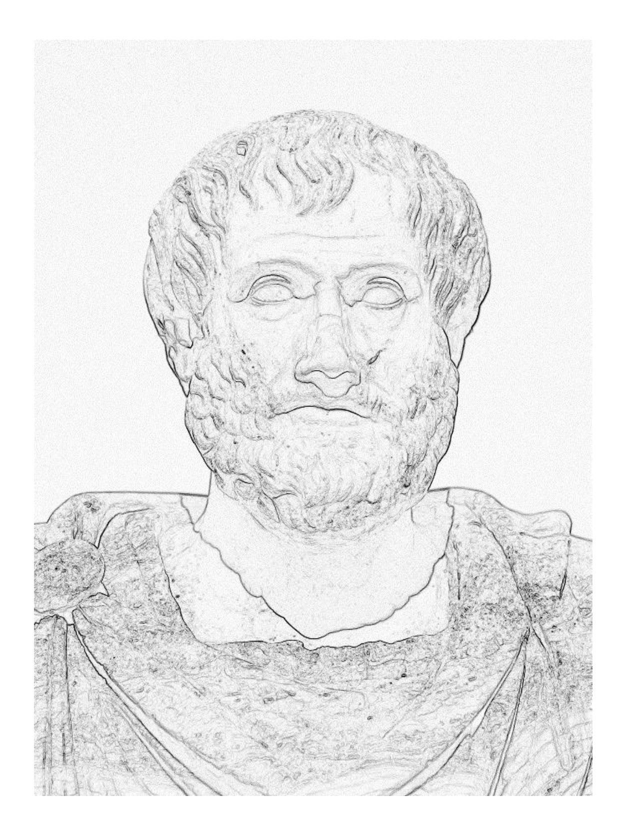
منيرة : هذا منو !

عماد : اليوم استاذ امجد طلعنا طلعة جديدة ، ما تكولي هذا وين لكيته .

امجد : سلموا عليه باحترام . هذا كان اديب ومعلم وناقد وشاعر . والاهم من هذا كله انه كان امين مكتبة .

امجد : اقدم لكم ثاني أمين عام لمكتبة الاسكندرية في زمن مصر اليونانية. وأول من وضع ما عرفه المكتبيون لاحقا بالبيبلوغرافيا. ووضع اول فهرس للادب الهليني من مئة وعشرين مجلدا.

امجد : من غير ما يلبس محابس (خواتم) ، او يحمل الخرز والحروز (التمائم).



ثم ما لبث ان شاح ببصره بنظرة غاضبة ، وتغير معها صوته الى الصورة الثانية. كانت صورة لرجل ذا ملامح عراقية بحتة لا يخطئها الناظر ملتحفا بعبائته ومتعكزا على عكازه. يخوض معركته الخيالية بسلاحه الاكثر فتكا (سيكارته) دون ان يعي بأن عمره انقضى.

امجد: اقدم لكم قلنهود ... أمير الخرز والسبح ، سيد الخواتم.

لم تنقضي معالم الدهشة والاستغراب من نظرات زملاؤه ، فهم لا يعرفون حتى الان من هو كاليماخوس ولا قلنهود طبعا. انهما نتاج فكرين مختلفين . انتجت حضارتين مختلفتين. كان امجد الذي مزقته تلك الحضارتين يعبر عن مجتمع باكمله في تلك الصور. وسرعان ما وصلت للجميع الفكرة ولو باضيق حدودها.

امجد (مخاطبا نفسه): شلون صرت بهالحالة ؟ من دونالد ساندرز وكمبيوتر تودي وبرامج استكشاف الفضاء واتمتة المجتمع ونزار قباني الى الخرز والعقيق والعباس اباد والبرهتية وقلنهود ، شلون ؟!

ثم نادى قائلا ...

امجد : ابراهيم اخذ صورة كاليماخوس القوريني وعلقها مكان قلنهود.

امجد : اني استحضر روح كاليماخوس القوريني الشاعر والاديب وامين مكتبة الاسكندرية لتحوم في مكتبتنا .

خلع بعدها خواتمه الثلاث بكره شديد لنفسه . وضعها في منفضة سكائره ، تبعها بقلادته. اقتلعها من حول رقبته كما يقتلع الفلاح الاعشاب الضارة من ارضه. وضع قدمه على الاطار الزجاجي للوحة الرجل المسن ، كسره بحذائه لانه يمثل كل ما يكره . الخمول ، والكسل ، والتعصب ... والاستسلام. ثم طوى الصورة ووضعها في المنفضة . اخرج سيكارة وهو يتأمل ذلك الخليط من الجهل والتخلف. اشعل سيكارته ، رمق المنفضة بنظرة اشبه بنظرة الملك روهان أمير مملكة الخيول عندما انتصر اخيرا على جيوش الشياطين التي ارسلها الساحر الشرير سادومان (سيد الخواتم ، الجزء الثاني). احرق الورقة بسعادة . وراح يتأملها بارتياح وهي تحترق وتلوث الخواتم بالسواد.

امجد : انصرف يا قلنهود ... لا مكان لك هنا ... في هذه المكتبة . لا مكان هنا للخواتم والتمائم . انصرف وخذ كل خرافاتك وجهلك معك الى الجحيم.

لم تخف احدى زميلاته فرحتها بما قام به . اذ ظنت انه صحا اخيرا من الزلزال العنيف الذي ضرب حياته. منذ وفاة والدته وترك زوجته له دخل في حالة من الكوما العاطفية. ظن زملاؤه خطئا انه نجح في مقاومة الحزن والالم والوحدة ، لكن الحياة كانت تخبئ قصة اخرى. الحقيقة ان امجد كان يطلق اخر

صرخة استغاثة . اذ كيف لانسان يعيش ثمانية عشر ساعة يوميا في سجن انفرادي ، وجبته فيه البيبسي والسكائر ان يكون حاله ! وكيف له ان ينتصر على المه وحزنه !

انتهت جلسة الفطور بشعور زائف من الجميع بالفرح لاجل امجد. اما هو ، فلم تمض دقائق حتى عادت تلك الحسرة الى صدره. تنعش ذلك الظلام الشيطاني اليائس صورة يتاملها دائما (والده بقيافته المتميزة ، ووالدته بابتسامتها الجميلة ، وزوجته بعيونها الواسعة، وامام ارجلهم قطته الجميلة دلال) .

امجد : خلي يكولون مجنون . خلي يكولون مريض.

مستحيل ... مستحيل .

هذا كابوس ، راح اكعد منه والكاهم كلهم يمي .

مستحيل موجود الم لهدرجة .

كلهم ... كلهم يروحون وابقى وحدي . كابوس .

لقد مزق رحيلهم نياط قلبي.

يقول الخبراء في علم النفس ان الانسان اذا تعرض لضغط او كارثة كبيرة في حياته تفوق طاقته على التحمل ، فانه ينهار ويختار عقله ان لا يصدق الحقيقة فيعيش في عالم من الوهم قد لا يخرج منه ابدا. نعم ، هذه هي الحقيقة. كان امجد يعيش وحيدا في عامه الاربعين . يعيش وحيدا مع انه يوجد في الارض سبعة مليارات انسان . هل هناك انسان عاقل يقبل ان يصدق هذه الحقيقة ، ناهيك عن ان يعيشها .

هرب الى زاوية يخفي فيها دموعه عن الاخرين ، فهو لا يحب نظرات الشفقة. هذا كان اكثر ما كان يقدمه العراقيون عادة (شعب كل انسان فيه مات ضميره منذ زمن طويل) . سيكارة تتلو اخرى . لمح (ابو سارة) بحرصه الدائم وملاحظته الثاقبة دخان السكائر. خاف ان يكون شيئا محترقا. هرع الى الزاوية ليجد على الارض كائنا مصفر الوجه ، ذو شفاه بنفسجية ، حليق الشعر (كان يعاقب نفسه على وحدته رغم انه لم يخترها).

ابو سارة : استاذ امجد ... يمعود اشبيك .

ابو سارة : حسام ، سلوى ... تعالوا .

وجاء معهم مدير المكتبة يتفقده . نظر الى عينيه نظرة ثاقبة . ثم قال كمن يتلو وصيته.

امجد : لا تزعل مني ، سامحني اذا اذيتك في يوم من الايام. وخلي زملائي يسامحوني اذا اذيت واحد منهم ، او قلت له كلمه زعلته . انت تعرف انه قلبي قلب طفل ما اعرف اكره .

كان العالم المظلم الذي يتخيله يشع نورا حتى تملك جسده واستهلك روحه . وجففت قسوة الوحدة منابع الرغبة في الحياة . انهار فجأة. تساوى الجسد على الارض. تقول بعض الروايات ان الانسان يموت قبل اربعين يوما من موته الحقيقي . وانه يفقد الرغبة في الحياة اثنائها . ويتغير سلوكه بشكل لا يلحظه الا المقربون منه ، ربما هذا هو سر الحزن حتى الاربعين يوما ... ربما. تعالت الصرخات واصيب الجميع بالذعر . اجمل ما في المكتبة ان افرادها يهرعون لمساعدة من يتالم منهم ولو وقتيا . حملوه الى المستشفى .

-٢-

المكان : مستشفى الكندي في بغداد .

الزمان : ذات يوم الاحد .

الوقت : الثانية عشر صباحا.

الطبيب : النبض منخفظ جدا وكذلك الضغط . اعطيناه حقنة منشطة لضربات القلب ، ومغذي فيه محلول يرفع الضغط .

علي : دكتور لازم اتساعده ... خطية .

عباس : هو مياكل ترى ... وعايش على السكائر .

محاولات بائسة تثير الضحك . يا ترى كم مرة نستعمل كلمة (خطية) ، انها الحبة السحرية التي تريح ضمير الانسان في العراق الجديد. وتعطيه شعورا كاذبا بانه قام بواجبه تجاه الاخرين . كان الميتروبول والانديرال يجاهدان لانقاذ جسد امجد من حالة التحول الى العالم السفلي ، عالم الموتى . معركة خاسرة ومن دون جدوى تذكر .

تذكرت وهي جالسة على كرسيها في المكتبة طلباته المتكررة لها بالزواج ، وادركت ان امجد لم يكن يبحث عندها عن حب جديد او حنان فقط . كانت صرخة استغاثة لانه لم يعد قادرا على مقاومة ظلام الوحدة الذي يستهلك روحه ، وشياطين الظلام التي تحوم حوله مستغلة تلك الوحدة. وتذكرت كلام زملائهم عنهما وعن قصة الحب المزعوم بينهما . والذي كان امجد يدرك وحده انها من طرف واحد ومن دون ان يعرف السبب . اذ يبدو انه ابتلي بحب النساء ذات الاسرار .

وصلت الى المستشفى . حاولت مخاطبته ، الا ان حبوب الفاليوم زادت الطين بلة وكأن اخواتها لم تكن كافية . طلبت من الجميع الخروج . بقيت معه لوحدها . قربت شفتاها المتعبة من اذنه.

امجد اني هنا .

اكعد ... اكعد .

اني ما كنت متصورة اكو انسان ممكن يحب مثلك .

اكعد ... حتى نتزوج .



وكعادة رجل عراقي من زمن جميل مضى . استجمع امجد كل قواه المتبقية . تسلح بما وجده من الميتوبروبول وكل مشاعر الرومانسية. يبحث بجد عن قاعات الحب العملاقة التي خزن فيها حبه للعالم لعله يجد القليل الذي لم تسرقه شياطين الظلام (ابو الغيرة – لابد ان يجيب).

لم تفلح كل قوى الشر في منعه . اصبح كفارس يردد (ساسير في وادي ظلال الموت ، لا اخاف الشياطين ، لانك معي ، ولان صولجانك وعكازك تحميني – الانجيل ٢٣ الاية

الرابعة). حرك يده محاولا تلمسها . ظنت فرحا انه استفاق . واحتضنت يده يدها . ولكن الحقيقة ان عملية التحول كانت اكتملت . رفض امجد الحياة مع اناس قساة القلوب . اناس لم يعد الحب والرحمة تعني لهم شيئا. اناس اصبحت علاقتهم بالاخرين عبارة عن **miss call** او (رمشلي) او **sms** . رفض الحياة مع اناس ماتت ضمائرهم وقلوبهم .

ارسل اليها رسالة صغيرة وعظيمة .

دمعة اخيرة نزلت من عينه اليسرى كأنها تقول لها

اسف يا حبيبتي ... جئتي متأخرة

أتمنى لو بقي عندي ما اعطيك اياه .

ترك الحياة لعله يجد عالما أفضل ، بالتأكيد لن يكون اسوأ واكثر قسوة من عالمنا .

(انا عند المنكسرة قلوبهم من أجل عبادي)

الله عز وجل مخاطبا النبي داوود

الريس غايب

الريس غايب

-١-

اللقاء الاول

المكان : قضاء الهندية .

الزمان : نيسان ٢٠٠٤ .

الوقت : العاشرة صباحا .

ودع احمد الموظف في بلدية كربلاء زوجته الحنون فاطمة واطفاله. ركب سيارته الكالوبر المتهرئة. وجهته مكان مشهور ومغمور في ذات الوقت. انها قرية السيد غايب والعلوية حمدية عكاب الحسن. انه مكلف بعمل مسح للقرى في قضاء الهندية. وكانت الرحلة اليوم من نصيبهم. امتد الطريق لساعات طويلة. وكان الطريق الوعر مؤلما كفاية ليشي ببعد المسافة. اخيرا ، وصل احمد الى مدخل القرية. ترك سيارته عند المدخل. ترجل منها وسار على قدميه. ادرك منذ اللحظة الاولى انها ليست قرية عادية، وانها تحمل سرا غامضا. اذ سرعان ما رحبت به نسمة هواء غريبة وطيبة. جاءه احساس بانه ليس في قرية وانما دخل الى الجنة.

اجتذبته مناظر كان يراها عادية. الكلاب والقطط تركض وراء الدجاج والبط في لعبة حنونة تكسر كل قواعد علم

الحيوان التي تعلمناها في المدارس. والحمير تقف على الابواب باحترام وهدوء، فيما تاخذ الابقار قيلولتها بدلال خلف المنازل. ونظرة من حسناء سمراء جنوبية الملامح تبحث عن عريس ربما. استوقفه عند وسط القرية شاب يتقد حماسا، وشكا في القادمين الجدد.

احمد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الحسين: وعليكم خوية.

احمد: هذي قرية السيد غايب.

عبد الحسين: اي ، وصلت خوية ، عليمن تنشد.

احمد: اني موظف بلدية كربلاء ومكلفيني اسوي مسح على قرى الهندية ومنها قريتكم.

احمد: اريد واحد جبير بالعمر يعرف تاريخ القرية.

عبد الحسين: شايف ذاك العجوز، شيخ غايب روح اسأله.

الشيخ غايب ، رجل طاعن في السن. رسمت السنين بقسوتها التجاعيد على وجهه الاسمر. اطلق العنان لغترته البيضاء لتنساب على كتفه، ولم يكن لمينعها من الطيران سوى عقاله الاسود. التحف بعبائته يصد بها عوامل التعرية. واستقر بجانبه قدح من الشاي، فيما راحت تقبل شفتيه سيكارته كامراة عاشقة مشتاقة لحبيبها. سلم احمد عليه وقدم له نفسه، ثم جلس بجانبه. وسرعان ما صاح الشيخ غايب يطلب الماء

والشاي واعداد الغداء لضيفه كعادة رجل ريفي جنوبي عراقي. وهو ما شجع احمد ليسأله.

احمد: شيخ ... ليش يسمون قريتكم قرية السيد غايب ومنو حمدية عكاب الحسن ؟

وكأنه نكأ جرحا قديما. اجبرت الذكريات الدموع على النزول لتطري وجه الشيخ. ولتفتح صندوقا لاجمل قصة حب عرفتها هذه الارض.

الشيخ غايب: احجيلك القصة، قصة عام ١٩٥٦.



-٢-

قرية عكاب الحسن

المكان : قرية نائية في قضاء الهندية .

الزمان : نيسان ١٩٥٦ .

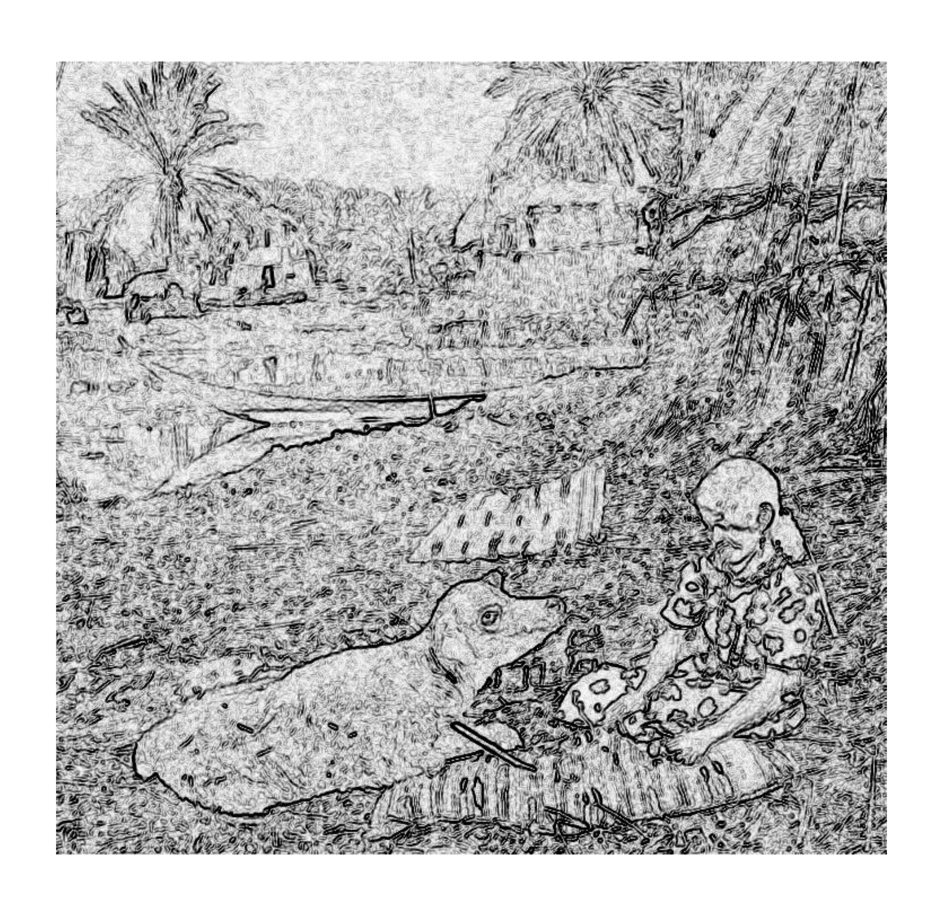
الوقت : غير معلوم .

قرية عكاب الحسن. قرية عادية هادئة، تتشارك ذات الملامح الجنوبية العراقية. الدور الطينية البسيطة التي تنتشر بعشوائية تحت ظلال النخيل الشامخ. الحيوانات الاليفة. رائحة الخبز الحار. فتيات جنوبيات سمراوات بجمال خاص. لم يعد احد من القرية يذكر لما سميت باسم عكاب الحسن او حتى من هو. غايب ... شاب فقير الحال، يتيم الابوين. يتميز بطيبة قلب غير اعتيادية. اذ رغم سوء حاله وافتقاره الى بيت او ابوين او اقارب او مال الا انه كان لا يتردد عن مساعدة من يطلب منه العون حتوى لو كان طفلا صغيرا. لم يكن يهتم بمظهره. حافي القدمين بجلبيته الرثة القديمة. وكأنه يسير على أرض الحرمين او عليه نذر ان يضع شيء في قدميه.

اما على الجانب الاخر من القرية فهناك منزل افضل حالا من الاخرين. ينسب اهله الى عكاب الحسن المجهول. لديهم ابنة واحدة ... انها حمدية. فتاة عراقية جنوبية بسمار خاص لم تلوثه مساحيق التجميل. واثار (الدك) على يدها ووجنتها.

شعرها الاسود كليلة اختفى فيها القمر وانسحبت منها النجوم، تلفه بربطة يسميها العراقيون (الشيلة) تثقلها بكرات صغيرة من الفضة.

كان غايب يحب حمدية، ويعلن حبه لها علانية في مجتمع يعتبر التصريح بالعشق لامراة غريبة جريمة كبرى. وكانت كلماته كثيرا ما تثير حنق الشيخ محسن. محسن هو قبضاي القرية، باللغة العراقية (شقاوة) القرية. يرهب الناس بكبر حجمه وصغر عقله في ذات الوقت. كان كل من في القرية على علاقة طيبة بغايب الذي يفترش كوخه الخرب على اطراف القرية. ينظرون له بعين الشفقة ويظنون ان ذلك يساعده، الا ان اكثر ما كان يكرهه غايب هو نظرة الشفقة عندهم. كان يحب قريته، فهي وطنه الذي لا يعرف غيره ولم يتركه منذ ولد.



-٣-
الفيضان

المكان : قرية عكاب الحسن .

الزمان : ذات النيسان ١٩٥٦ .

الوقت : مساءا .

انتشرت الاخبار كالنار في الهشيم عن فيضان نهر الفرات وشط الهندية. هرب الشيخ محسن لانه لم يكن قادرا على مواجهة اسئلة ابناء القرية، كحال الانكليز الذين تركوا سدة الهندية. وارتحل ايضا اهل عكاب الحسن وبالطبع ذهبت معهم حمدية الحبيبة. وجد ابناء القرية انفسهم في حيرة بالغة مع استمرار تدفق الانباء عن ذلك الوحش الكاسر الذي تتساقط قراهم امامه الوحدة تلو الاخرى. وقفوا حائرين لا يعلمون ماذا سيفعلون في مواجهته. الارض هي حياة الفلاح، فهي مصدر غذائه واثاثه ومصدر غذاء حيواناته ودمارها كارثة كبرى لهم. كانت قرية عكاب الحسن تواجه وضعا استثنائيا، اذ فعليا لم تكن هناك قيادة. سقطت القيادة او هربت ليس مهما ... ولم يعد مهما.

تجمع الناس في وسط القرية. واذا بظل شاحب داكن يسير نحوهم في ثقة غامضة. انه غايب. جاء غايب منتعلا حذاءا سميكا لاول مرة في حياته. يسميه العراقيون (الجزمة)، وكأنه

ارتدى بدلة عسكرية كاملة القيافة. الان عرف سكان القرية لماذا كان غايب يدخر ما يأخذه من المال. لم يكن غايب غبيا كما تصوروا بعد كل شئ. حمل معه مجرفته التي يسميها العراقيون (المسحاة). وقف في وسط القرية وراح يصرخ فيهم.

غايب: هاي قريتكم انتو...

واذا انهزم محسن والانكليز .

هاي كاعكم وكاع اطفالكم.

انتو احموها ، انتو دافعوا عنها.

انتبهوا لصوت عالي لم يعتادوا عليه من غايب الهادئ. وما لبث ان بدأ يوزع المهام على شبان القرية. وكأنه قائد عسكري يعد جنوده لمعركة مصيرية، وربما غير متكافئة أبدا.

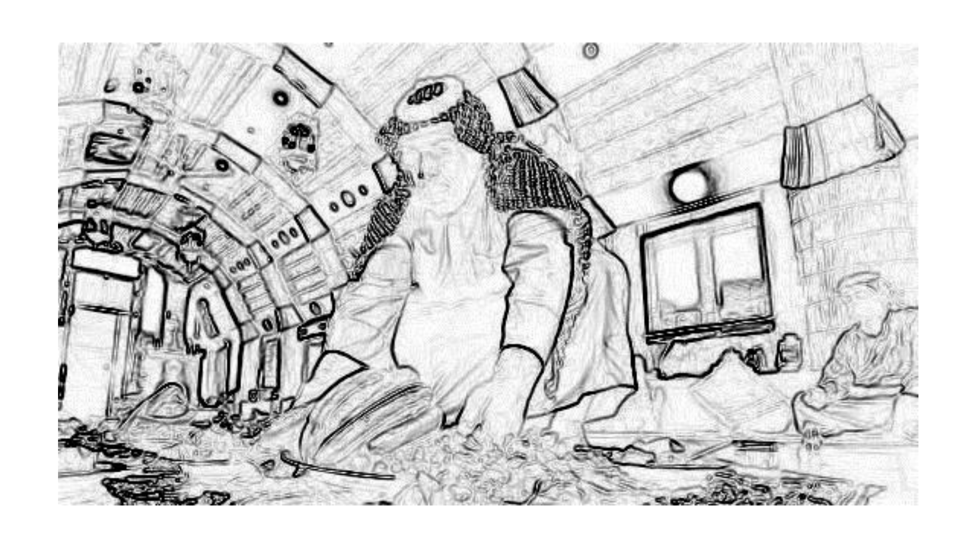
غايب: احمد انت ومحسن يم كوخ حجي علي. انثروا عشرين كونية طين .

حسين، اصعد فوك النخلة مال حجي مهدي، واخذ فانوس وياك. انت الناطور مالتنه من

يجي المي صفر.

خالة فتنة، اخذي الاطفال وديهم على سطح بيت حجي راضي لانه عالي، واخذي الهم اكل حتى لا يجوعون.

كان لكل شئ ترتيب عند غايب. الحيوانات، الغلال، الاطفال والنساء. امتعض البعض وتردد اخرون. ولكن لم يكن هناك احد اخر ليتحمل المسؤولية في هذا الظرف الصعب. هرب الجميع. قام احمد وحسن ولحقتهم الخالة فتنة، وسرعان ما صار الجميع يسيرون وفق الخطة الحربية المحكمة التي اعدها غايب. جاء الفيضان كالطوفان. وغرقت كل القرى الا قرية عكاب الحسن. وما ان انحسرت المياه حتى اعلنت الافراح بالقرية المنتصرة. جلبوا لغايب عقالا جديدا وعباءة. واصبح منذ اليوم يسمى الريس غايب.



-٤-

عشق يتحدى الموت

المكان : قرية عكاب الحسن .

الزمان : ذات النيسان ١٩٥٦ .

الوقت : عشية الانتصار .

غير الانتصار على الفيضان اشياء كثيرة في القرية وليس فقط مكانة غايب. اذ عاد محسن ولكن بحجمه الطبيعي وليس بحجم جسده. اذ أصبح لدى القرية بطل جديد هو الريس غايب. والاهم عادة حمدية حبيبته الغالية. وطبعا لم يعد احد يجرأ على التقدم لحمدية. اما خوفا من الريس غايب، او احتراما وتقديرا له. وبقي على وفائه وحبه رغم أنه صار قادرا على خطبة أي امراة اخرى. ذهب والدها الممتعض من ابتعاد الخاطبين عن ابنته الى غايب. وضع بندقيته (البرنو) على صدره.

والد حمدية: اذا متعوف بنتي والحجي عنها راح اخلي طلقة بصدرك.

عدل غايب البندقية، ووضع مأسورتها مباشرة على قلبه ثم اجابه قائلا.

غايب: اكتلني ... اني اموت ولا اعوف حمدية. ولا أحب غيرها.

حمدية الي ... اكتلني ... ما اعوفها.

وانطلقت الرصاصة الحمقاء. قتل والد حمدية الريس غايب بطل القرية من دون مقاومة منه. حمل الناس جثة بطلهم ودفنوها في اطراف القرية عند كوخه. وادركت حمدية عندما سمعت بالحديث كم كانت حمقاء عندما رفضت غايب. (عندما يكتشف الانسان تقصيره عن من احبوه حبا حقيقيا تكون ردة الفعل ثورية وعارمة). ذهبت حمدية الى وسط القرية ونزعت شيلتها بالم. اذ ان من المعيب ان تكشف المراة عن شعرها امام الناس. خاطبت الناس والدموع في عينيها.

حمدية: اني مرة غايب. ويحرم علي الرجال. ماكو رجال يلمسني غير غايب.

كم هو عجيب حال الدنيا. كم انسانا لا ندرك حبهم الا بعد ان يرحلوا عنا. ونتمنى لو ان الزمان يعود لنسقيهم من حبنا.

-٥-

الفيضان مرة أخرى

المكان : قرية عكاب الحسن .

الزمان : ذات النيسان ١٩٨٦ .

الوقت : غير معلوم .

مرت السنون. رحل الشيخ محسن عن الدنيا، وكذلك رحل الانكليز عن العراق، وتهدمت سدتهم الطينية. وجاء النظام الجمهوري. تباهى بسدته الكونكريتية الجديدة، ووعد اهالي الهندية بأنهم اصبحوا في امان من الفيضان المتوحش. لكن الحياة في العراق غير قابلة للتنبؤ والتخطيط. فاض نهر الفرات من جديد بعد ثلاثين سنة. وانهارت القرى مجددا امام ذلك الوحش الكاسر. وغرقت هذه المرة قرية عكاب الحسن. تجمع ابناؤها في ذهول شديد بعد انحسار الماء ليحصوا خسائرهم. وتسائلوا في انكار. كيف نجت قريتهم من ذلك الوحش قبل ثلاثين عاما مع غدر الانكليز وهرب محسن، لتغرق الان والان فقط.

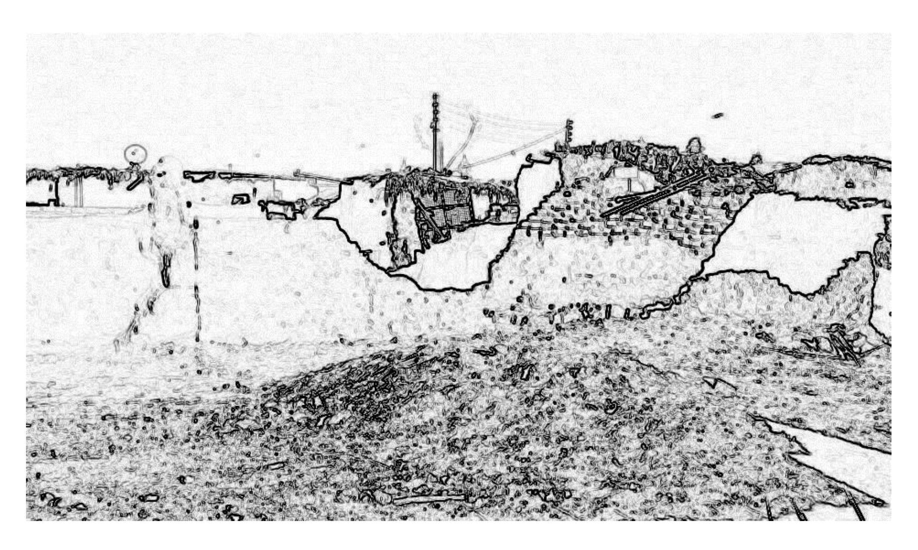
خرجت من بين الوجوه امراة عجوز وقورة ومهيبة. وكانها هي شيخة القرية. نظر الجميع اليها وكأن لها نظرية وجوابا شافيا. نفس السمار الجنوبي، سوى ان السنين حفرت الامها على جبينها وانحنى ظهرها. وبقيت تلك العينين الكبيرتين كما

هي، وبقيت نفس الشيلة ونفس ثقالات الفضة التي تطرزها. انها حمدية عكاب الحسن في عقدها الستين.

حمدية: ولدي قريتكم غركت لانه ما بيها غايب. غايب هو حرزكم.

منا وجاي سموا كل اطفالكم غايب، وسموا قريتكم باسم غايب ... حبيبي.

ومرت الايام ليقبل الشعب تنازل اميرة القرية عن امتياز الاسم. واصبحت القرية تحمل اسم الريس غايب. وكلما جاء مولود جديد سمي غايب. وبعد بضع سنين ماتت حمدية، ودفنها اهل القرية بجوار حبيبها واميرهم الحارس.



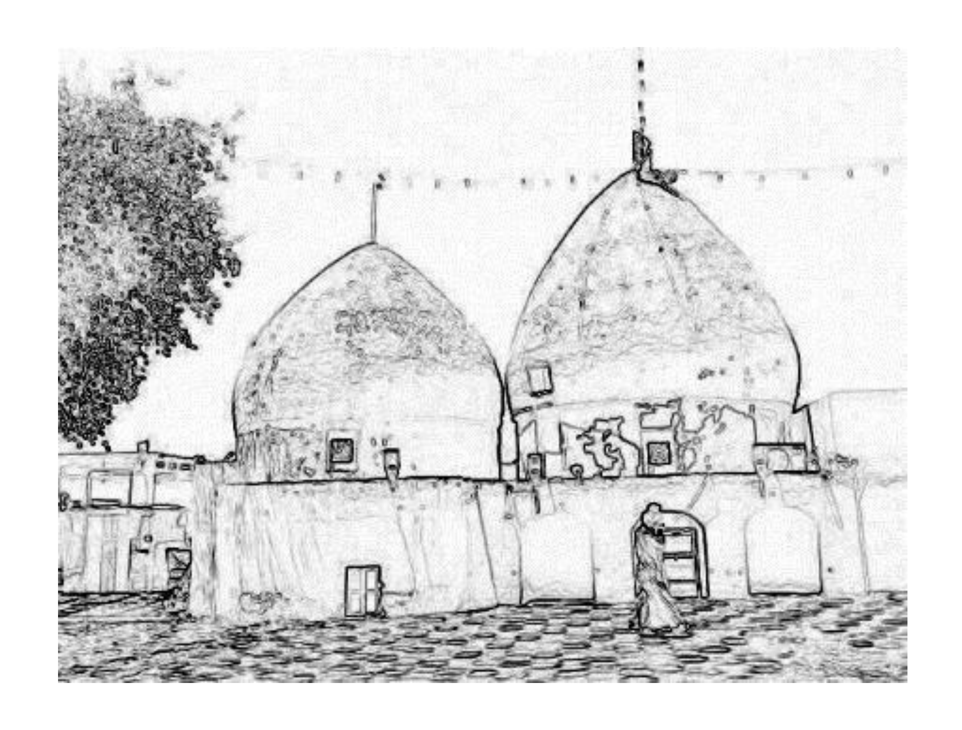
-٦-

الختم الازرق

وقف احمد امام مزار صغير تعلوه قبة خضراء تركت عليها السنين اثارها وارتفعت الاعلام حولها. وشد ابناء القرية والقرى المجاورة اقمشة النذور الخضراء عند القبرين. وقف المريدون والمحبون والمظلومون حول ضريحهما يطلبون ويدعون ويستغيثون ... بالسيد غايب مستنزل البركات والعلوية الصالحة حمدية عكاب الحسن.

اصبح غايب وحمدية اسطورة... ونسي الجميع قصة الحب، وغابت قصة غايب. لكنه بقي خالدا في موروث وفكر اهل الهندية. تماما مثل عكاب الحسن. لم يعد مهما لماذا اصبح بطلا، لم يعد مهما لماذا حملت هذه الارض اسمه. المهم انه صار مثالا هو وحبيبته حمدية.

اغلق احمد ملفه الاخير عن اخر قرية، وعن اجمل قصة حب وعشق عرفتها ارض قضاء الهندية. ترك قرية السيد غايب والعلوية حمدية عكاب الحسن. وضع ملفها في غرفة ملفات صغيرة بعد أن مهر الملف بذلك الختم الارزق. ليحفظ تاريخ هذه الارض قصة اخرى من اجمل قصص العشق والوفاء الى حد الموت، والتضحية بالروح من اجل الحبيبة والارض.



تلميح : هل زرتم ضريح السيد غايب والعلوية حمدية عكاب الحسن ... لا .

حسنا ... انصحكم بزيارته.

حب في الدنمارك

حب في الدنمارك

-١-

مسافر بلا وطن

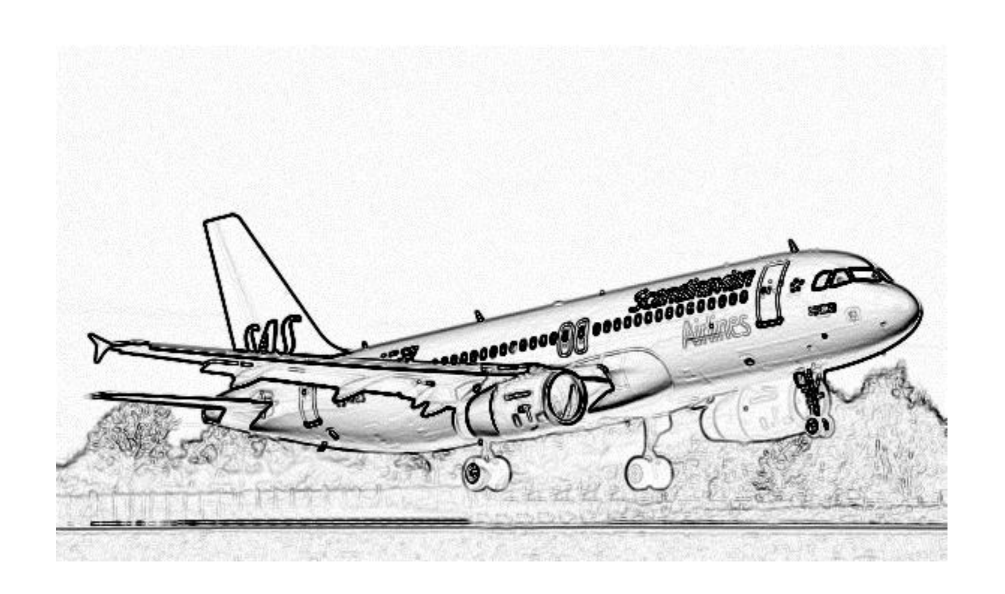
المكان: مطار رفيق الحريري الدولي.

الزمان: نيسان ٢٠١٢.

الوقت: الثامنة مساءا.

أعلنت حركة الطائرات عن توجه المسافرين الى البوابة. الرحلة رقم ٦٨ المتوجهة الى الدنمارك مطار كوبنهاجن الدولي. ركب الطائرة، اخرج كتيبه الصغير ليتذكر الكلمات الشائعة. ورغم الطائرة المريحة لم يستطع ان يكمل. وراح شريط حياته السابقة يمر امام عينيه. منذر عبد القادر ضابط البحرية العراقي. اختلف مع احد ضباطه الاعلى رتبة، فارسل له عصابة تهدده مما اضطره الى ترك العراق اثر محاولة اغتيال فاشلة. لم يكن منذر مثل الصورة النمطية لاقرانه الضباط. اذ كان يحب القراءة، يمضي وقت فراغه في قراءة كتب الادب والشعر والروايات. وهو سليل عائلة عسكرية مرموقة. كان يحلم بأن يكون لبلاده اسطول بحري عظيم تهابه الدنيا كالاسطول الانكليزي يحمل علم العراق. وكان يحلم بتلك

العبارة دوما (الاسطول الجمهوري العراق Republic Iraqi Navy). وان يصبح يوما ما اميرلا لذلك الاسطول مثل دونتز قائد البحرية الالمانية ايام أدولف هتلر.



رافقتها مرارة كبيرة وهو يتخيل ما آل اليه حال بلاده. وكيف صدأت سفن البحرية الى جوار زميلاتها التي دمرتها قوات الاحتلال الامريكية. وكيف اصبحت قاعدة الحسن العسكرية في البصرة خربت الا من مقر اداري أشبه بمدرسة قديمة. كان يقف يتأمل حتى العلم الذي اثقلته حبات التراب. وتذكر كيف طلب من مراسله انزاله بدون اذن القائد في حركة مفاجئة ليتم غسله واعادة رفعه.

انه ذاهب الى عالم اخر، الى سقف العالم الى الدنمارك، الباردة والمظلمة. اخيرا اكتملت معاملة اللجوء التي قدمها الى الامم المتحدة. اناس اغراب، ولغة غريبة... حتى الازهار كانت غريبة عنه رغم انها ودودة. انها تجربة قاسية وغامضة وربما جذابة ان ينتقل الانسان في حياته بين زمنين وعالمين مختلفين. هل سيستطيع التحمل؟ هجمت تلك الدموع على وجنتيه من دون ان يقدر على ردعها.

مرت الساعات وهبطت الطائرة في مطار كوبنهاجن عاصمة مملكة الدنمارك. بقي اخر فرد نزل من الطائرة وكانه كان خائفا مما ينتظره. وكانه كان في سيارة ترحيلات للشرطة العسكرية. وما ان خرج من الطائرة حتى قبلته نسمة هواء غريبة لم يعتدها. باردة، رطبة وعتيقة... لكنها ذات مذاق مميز.

-٢-

الى شقة فيولا

المكان: مطار كوبنهاجن - الدنمارك.

الزمان: نيسان ٢٠١٢.

الوقت: العاشرة صباحا.

فتاة شقراء تشع حيوية تحمل لافتة كتب عليها بالعربي (منذر عبد القادر-العراق). قال في نفسه هل من المعقول ان تقف هذه الحسناء الجميلة في انتظاري انا. توجه نحوها.

منذر: انا منذر.

فيولا: انا فيولا موظفة من مكتب خدمات المهاجرين. اهلا بك في بلادنا الجميلة.

شعرها الذهبي البسيط، ابتسامتها، سروالها الجينز الضيق وقميصها الوردي اشارات لروح مفعمة بالحياة. اضف اليها نظرات لامعة وصوت طفولي... بكلمة واحدة (متألقة). وضعت حقيبته اليتيمة في صندوق سيارتها القديمة. ركبوا معا، وسرعان ما أمطرت سماء كوبنهاجن كقديس يبارك زواج

روحيهما. كان يتأمل سيارتها القديمة النظيفة، اصبحت عيناه اشبه برادار مجهد في حالة حرب. هي وقطرات المطر والخضرة الجميلة. حاول جاهدا اخفاء ضحكته الساخرة من عالمه القديم الذي يخاف عليه.

فيولا: أتمنى ان تكون سعيدا في الدنمارك. بلدك الجديد. هل هناك مكان محدد ترغب في زيارته.

ولان منذر تربطه علاقة سرمدية بالبحر اجابها فورا.

منذر: الميناء... ميناء كوبنهاجن.



ولانها طيبة القلب أشبه بوالدة حنون. اخذت فيولا ضيفها الجديد القادم من عالم اخر الى ميناء كوبنهاجن الذي يبعد قرابة نصف ساعة عن المطار. كانها تقول له (رغم كوني انثى، الا اني الوحيدة القادرة على تحقيق احلامك الكبيرة). وقف امام الممر الخشبي. اخذ نفسا عميقا. كأنه يطهر صدره من كل الهواءات الفاسدة التي عششت فيه لاربعين عاما. وكعادة بعض القادة العسكريين. يتطلب الفوز بالمعركة مناورة مفاجئة. اختار ان يقوم بمناورته لمواجهة فيولا التي تقف خلفه بثبات. خلع كل ملابسه حتى حذائه وجواربه. وركض بكل عزم قوته. رمى نفسه في المياه الباردة بعد أن اطلق صرخة اشبه بطوربيد مدمر.

استلمت هي الاخرى رسالته. وجدت اخيرا رجلا يستحق ان يمتلك قلبها. سماره العربي الفاتح المميز. اضف له رجولة نبيلة. طيوب وحنون وغامض وجرئ ... خلطة جذابة. خافت عليه من البرد، ورجته الخروج الماء. عبثا تحاول، للمرة الاولى وجد نفسه غارقا في بحار الحرية. بعيدا عن الخوف والقلق. بضع دقائق. خرج من الماء. وقف امامها عاريا من كل شيئ. كشف لها اسرار روحه وجسده. تأملته، شعر صدره الابيض كان اكثر ما جذبها له. وتلك الشيبة الفرنسية النكهة في مقدمة شعره. لم يبال بالبرد، واستمر في مغازلة انوثتها برسائله السرية. اخرج سيكارته في ذلك الموقف ليزيد من اثارتها. جلبت له بطانية صغيرة من صندوق سيارتها، الذي اصبح يراه اشبه بمصباح علاء الدين السحري.

فيولا: منذر ... لنذهب ستكون ضيفي اليوم . سنذهب الى شقتي.

ترى متى اتخذت قرارها ... هي وحدها تعلم. ان لبعض النساء قدرة كبيرة على اصابة اقوى الرجال بالذهول عندما تتخذ قراراتها الشجاعة. الطريق الى فيونن. ساد الصمت المفعم بالضجيج طوال الطريق. هدوء ظاهري. اما العيون فكانت تتكلم بلغة النظرات في حرية وجرأة لم يعهدها الطرفان. وصلوا اخيرا. عمارة متواضعة في جزيرة فيونن. دخل شقتها الصغيرة. المتكونة من صالة استقبال صغيرة وشئ اشبه بالمطبخ. كان أكثر ما جذبه الالوان. يبدو أن فيولا تعشق اللون الوردي. هل هناك امراءة لا تعشق اللون الوردي ! ، وان وجدت فهل هي امراءة !.

جاء ضيف اخر معهم، ولكنه لم يكن مدعوا. اذ اعلن فيروس الانفلوانزا عن نفسه بعطسة وقحة فرضها على منذر. قادته الى غرفة نومها... جنة آدم وحواء. ولكن هذه المرة ستصحح فيولا خطأ حواء... ستدخله الجنة بدلا من ان تخرجه منها. تركته لينام في غرفتها ونامت هي على الاريكة. غط في نوم عمي، وكانه لاول مرة في حياته وجد بيته.

-٣-

حب الى حد الاحتراق

المكان: شقة فيولا – جزيرة فيونن.

الزمان: نيسان ٢٠١٢.

الوقت: السابعة صباحا.

أشرقت الشمس بشكل مفاجئ وكأنها لم تشرق منذ اربعين عاما. ضعيفة ولكنها جميلة انها شمس الدنمارك. فتح عينيه بعد ان فتحت فيولا ستائر غرفتها. استطاع ان يهزم فيروس الانفلوانزا بسهولة غريبة وكان امدادات من جهة غير معروفة وصلت اليه. جلس على الفراش. ما اجمل ان تفتح عينيك على كوب من الحليب الساخن وابتسامة فيولا. مرت الدقائق وكلاهما يحدق بعين الاخر. باغتته قائلة.

فيولا: منذ زمن وانا احلم بامير من الشرق. يأتي ليسرق قلبي.

قررت ان اجعلك اميري. انت لم تعد منذر.

انت منذ اليوم " اميري العربي الهارب ".

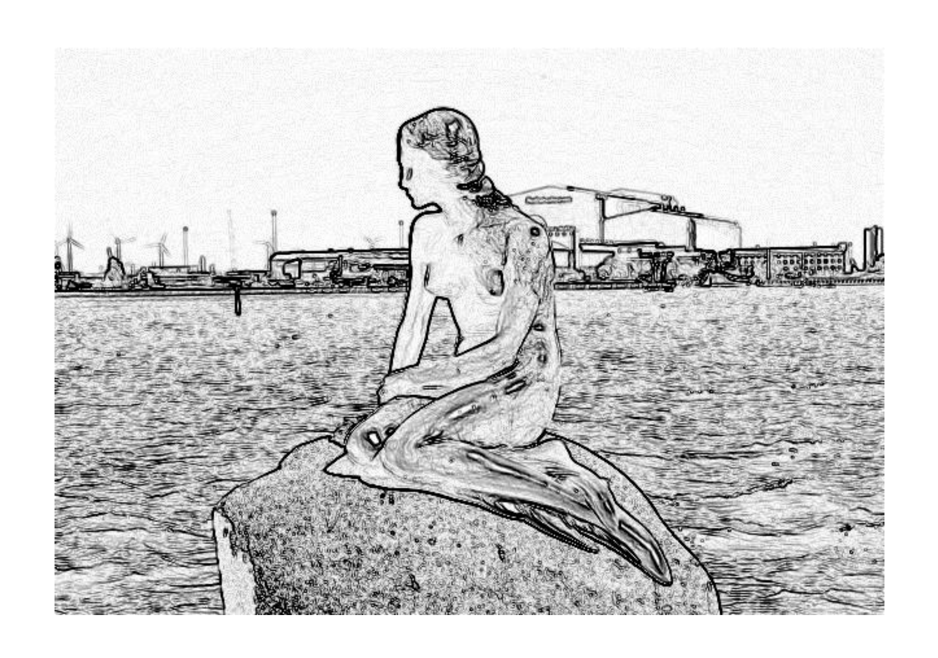
فيولا كانت تدرس الادب والفلسفة. انسانة لم تكتف انها عاشت في ارض لم تعرف الحروب لثمانمئة سنة، فزانت

نفسها جمالا بالاختصاص في علم البحث عن الحقيقة. وكأن دراسة قصائد هانز كريستيان اندرسن لم تكن كافية لتبحث في حياة سرن كريجور الذي اسمع صوته للدنيا رغم انه يعيش في سقف العالم.

سألته ان كان يريد الخروج في جولة في الدنمارك؟. لم يتاخر الجواب. نهض بكل سرور، كما لو ان طفلا صغيرا وعدته امه بالشيكولا. حملته الى اجمل اماكن الدنمارك. قلعة كرونبورغ، متحف لويزيانا ومدينة مالمو. عادوا في الليل الى شقتها. كان الطرفان يعلمان انها ليلة حاسمة وان (غزوة بدر الكبرى) و(موقعة الجمل) ستحدث هذه الليلة. نادته من غرفتها بصوتها الطفولي. دخل غرفتها فوجدها عارية الا من ثوب نوم شفاف ابيض. امسكت يده، اجلسته بجانبها. اخذت سيكارة من علبة سكائره واشعلتها، وكانها اخذت قلبه لتشعله (ترى لماذا تصبح السيكارة جنسية جدا عندما تقبلها شفاه امراة جميلة؟!).

وضع يده على فخذها فازدادت حيرته. من هو الاكثر نعومة فراشها الحريري ام فخذها. امسكت يده ووضعتها على بطنها. كانت خلافا لكل شئ دنماركي دافئة، بل محرقة. كانها تقول له هيا قم باخر غزواتك. تأمل جسدها، ان اكثر ما اعجبه اطرافها الناعمة. خلع ملابسه. وسجد ليطبع قبلة حنونة وخجولة على اصبع قدمها الصغير.

صار راسه بين رجليها. تحسس فرجها المقدس. يبحث عن مصدر رائحة عطرة وغريبة. قبله بشفتيه، داعبه بشواربه ولحيته ولسانه. خرجت منها آه مختنقة مصحوبة بقشعريرة. كان كراهب صوفي عاشق ساجد لربه في محرابه، او طفل وجد مخبأه السري أخيرا. قبل بطنها، ووضع رأسه بين نهديها. واكتشف مفاجاة كبيرة، انه لم يفطم بعد ولم يشرب الحليب ايضا منذ اربعين عاما (يا لهؤلاء الرجال لا يفطمون ابدا). التقم نهدها الايسر يبحث عن طفولته المفقودة. اما هي فكانت شبه غائبة عن الوعي وقعت صك الامومة الجديدة بامتنان وشغف. احتضن احدهما الاخر بجنون وقوة، كانت معركة مدوية. وما تكاد تنتهي جولة حتى تبدأ اخرى. غطى دخان السكائر خطيئة آدم وحواء الجديدة واللذيذة فيما كانت زجاجة الويسكي الفرنسي الفاخر تنفث النار في جمر الحب. وتطلق العنان لخيال جامح.



مرت الايام جميلة وهادئة الا من قصة حب عاصف مصحوب بامطار الدنمارك التي تطهر القلوب. اودنيس، مدينة فيولا في جزيرة فيونن. مدينة العاشقين. كأن هناك مدنا للعاشقين مثل اودنيس ومدنا للكراهية والتعصب مثل بغداد. كانت فيولا رغم ذلك الحب تخاف وتكتم خوفها من تلك اللحظات. انها لحظات مظلمة تسرق فيها الشياطين حبيبها الامير العربي الهارب. يتوقف فيها عنده كل شئ، وتنزل الدموع استثنائيا من سياق الحياة. ينفصل فيها عن كل عالمه
الجديد وتعيده الى عالم سفلي هرب منه باعجوبة.

-٤-

اخر وردة جورية

المكان: مستشفى فيونن التخصصي –مدينة اودنيس.

الزمان: آب ٢٠١٢.

الوقت: الثالثة ظهرا.

كانت جالسة بثقتها المعهودة تناقش مشرفها في شخصية فارس من فرسان الشعر الدنماركي هو هانز كريستيان اندرسن. تدافع عن روعة اسلوبه وابداعه في رسم الكلمة. وفجأة رن جرس الهاتف المحمول (اكثر جهاز يكره منذر في حياته).

الهاتف: الانسة فيولا.

فيولا: نعم.

الهاتف: نحن من مستشفى فيونن التخصصي. هل تعرفين السيد منذر عبد القادر.

فيولا: نعم انه خطيبي.

الهاتف: ارجو الحضور بسرعة، الحالة طارئة.

أحست فيولا منذ صباح ذلك اليوم بأن هناك شيئا ليس على ما يرام. لا يضاهي احدث رادار في الدنيا حاسة المراة لوقوع المصائب. ركبت سيارتها وانطلقت كالمجنونة. وصلت الى المستشفى. دخلت غرفته، ولكنه كان اختار ان يهجر الدنيا اثر ازمة قلبية مفاجئة. تاركا ورقة صغيرة لها على صدره.

منذر: حبيبتي فيولا... انا اسف لان قلبي لم يتحمل حبك الكبير وبلادك الجميلة. اذ لم اتعود ان

تأتيني النعمات دفعة واحدة.

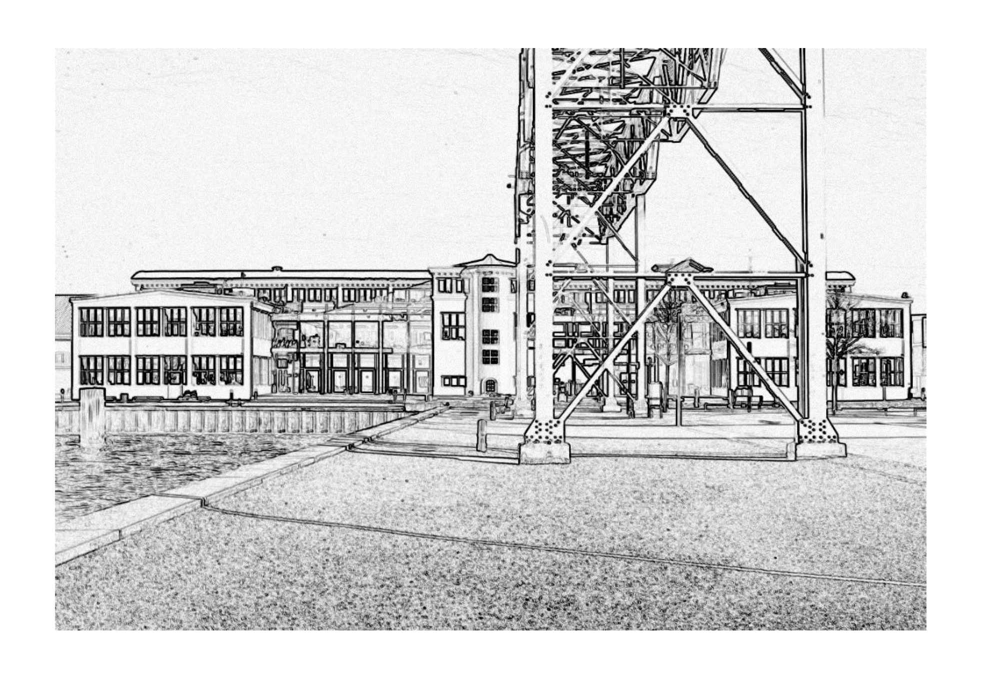
حبيبتي فيولا... انا اسف لان قلبي لم يتحمل نسيان بلدي المدمر. اذ مازال اجمل وطن

في الدنيا. ومازال اهله غالين عندي رغم غدرهم وقسوتهم.

حبيبتي فيولا... انا اسف لان قلبي الصغير كقلب الاطفال لم يتحمل.

مرت السنون واكملت فيها فيولا دراسة الدكتوراه، واصبحت عميدة لمعهد فيونن للادب. كانت تثير كل من حولها من زملائها وطلبتها وتحفزهم للابداع بنشاط مفرط، رغم ذلك الحزن العميق الذي كانت تحاول جاهدة اخفاؤه في عينيها. ومع جدول اعمالها المزدحم لم تتوقف يوما عن طقسها

الخاص الذي كانت تحرص على ان تؤديه طوال عشر سنوات. تشتري كل يوم وردة حمراء جورية وتضعها على قبر حبيبها الامير العربي الهارب.



افتقد رواد معهد فيونن استاذتهم وملهمتهم الجميلة فيولا. وجدوها نائمة نومتها الابدية على قبر حبيبها وهي تسلمه اخر وردة جورية. صارعت فيولا الاقدار والاحزان بغضب لانها اخذت منها حبيبها. لكن من منا يستطيع ان يغلب الاقدار والاحزان. اقترحت فيرونيكا ان تدفن اختها فيولا الى جانب حبيبها.

فيرونيكا: ادفنوها الى جواره. كان حلم حياتها. أربعة اشهر هي كل حياتها.

قبران صغيران... ومنعزلان. قرب جدار مقبرة فيونن في الدنمارك الباردة والبعيدة، في سقف العالم. وضعوا على قبريهما شاهد كتب عليه.

" هنا ترقد الاميرة فيولا بنت الملك فليب ملك الدنمارك.
وحبيبها الامير العربي الهارب منذر عبد القادر ... نيسان ٢٠١٢- آب ٢٠١٢ "

غريبة تلك الاقدار وكيف تعمل. منذر الضابط البحري الهارب الذي انتهى به الحال لاجئا في الدنمارك. لم يستطع ان يحقق حلمه بأن يكون اميرا لاسطول حربي عظيم يحمل علم بلده العراق مثل دونتز الالماني. ولكن الاقدار ارادت له ان يكون اميرا ليس بالسفن الحربية ولكن بالحب. صار منذر عبد القادر اميرا دانماركيا بحبه لفيولا الذي اتضح انها اميرة الدنمارك. بشعرها الذهبي وابتسامتها الرائعة وصوتها الشجي وعينيها البراقتين وتواضعها ... وسيارتها القديمة وشقتها الصغيرة ودفاعها عن سرن كريجور. اسرت قلوب الدنماركيين كما اسرت قلب منذر. قصة حب بل حياة صادقة امتدت اربع اشهر فقط صنعت منه اميرا سيخلده تاريخ الدنمارك. سيحكي الدنماركيون لاطفالهم قصة حب عظيمة " قصة الاميرة فيولا والامير منذر" .

ملاحظة: لا تستعجلوا الاقدار، لان لها عادة ... خطط اخرى.

الذين رحلوا



الذين رحلوا

-١-

من يحي العظام وهي رميم

ابراهيم ... رجل أربعيني يعشق القراءة، والكتابة عنده طقس أشبه بالصلاة. نشأ صغيرا في مكتبة والده. الاب استاذ جامعي والام معلمة. قضى طفولته بين مدرسة وجامعة. ربما يكون بعض البشر كنوزا ... بل اغلى من الكنوز. دائما ما كان ابراهيم يتصفح تاريخ والده ووالدته وشخصيات اخرى وضعتها الاقدار في طريقه. عجيب كيف تتحول المصطلحات ذاتها بين زمان واخر من اوصاف تجمع الناس الى وسوم تفرقهم. ربما هي فوضى اللغة التي تحدث عنها ادونيس في كتابه فاتحة لنهايات القرن. كانت فسيفساء العراق تجمع الناس وتضفي نكهة من الجمال على كلمة العراق، ولكنها صارت تمثل كل شيئ مقيت بعد أن اطلقت الدول المجاورة كلابها السوداء على مراعينا الجميلة.

الدكتور صبحي ... والده الذي يعود نسبه الى (...) هو شيعي. والده ينتسب الى رجل من قادة المقاومة ضد العثمانيين في مدينة الكوت العراقية. اما والدة أبيه فكانت حالة خاصة. كانت بنت عائلة تسلمت قيادة الحضرة الكيلانية. كان جدها

شيخا للتكية القادرية في بغداد، واخاه يحمل راية الشيخ عبد القادر الكيلاني.

اما والدته فلها قصة اخرى. سنية موصلية بما تمثله تلك المدينة من تاريخ. كان أبوها سنيا وأمها شيعية من أهل مدينة النجف. عاشت مع جيل ليس كباقي الاجيال. عذرا لا يمكنني ان اتكلم عن كل ما يحيط بابراهيم ... لان اسماء الاخرين ليست ملكي. ولن انسى طبعا ذكر جدته الكردية.

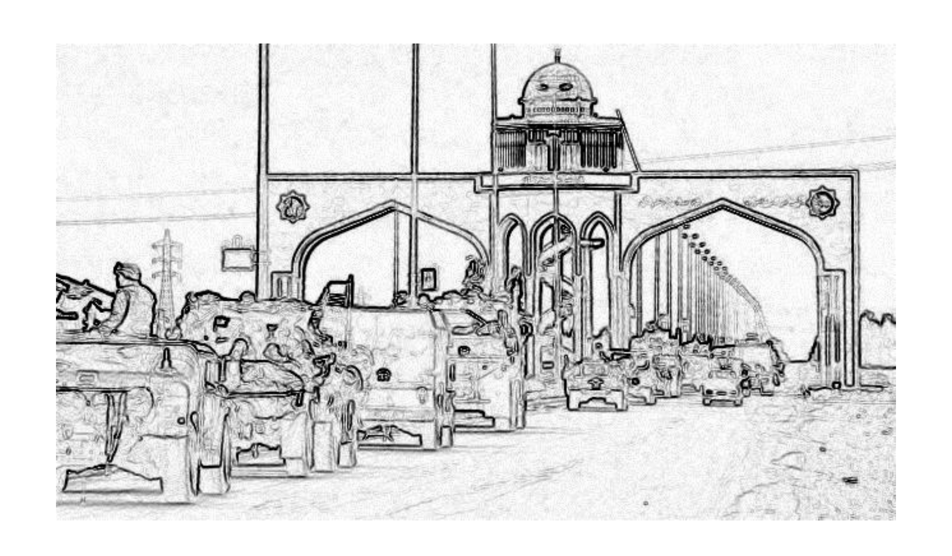
كيف يمكن لابراهيم المسكين أن يصنف نفسه. انه الجيل الثالث من عوائل المتسامحين. سني، شيعي، كردي، مسلم من قبيلة كانت تعتنق المسيحية قبل الاسلام، صوفي. أين وفي أي خانة يجب أن يضع نفسه. الاب مختلط والام مختلطة وكذلك الاجداد. لا يستطيع ان يضع نفسه الا في خانة واحدة ... عراقي. لكنها طبعا اسوأ خانة في زمن التطرف والتعصب. انه الرقم المضيئ في زمن الظلام.

كان ابراهيم اسير والده. الرجل العلماني المستنير والذي يخفي في قلبه جذوة ايمان صوفي غامض. عارف بالله بصيغة استاذ جامعي. كان يخرج دوما تلك الصورة القديمة لابيه وهو يمسك يده اثناء زيارته الى مسجد الامام الكاظم في بغداد، وسرعان ما تنساب ذكريات الجلسات الجميلة امام مطعم الكيلاني. اذ كانت راحة ابيه الاكبر في الدنيا أن يأخذ ولده ابراهيم مساء كل يوم ليجلس مع صديقه حافظ صاحب المطعم والشيخ طه قارئ القرآن الضرير عند باب المطعم وامام مسجد

الباز الاشهب (لقب يطلقه العراقيون على الشيخ عبد القادر). كان يتذكر كم كان والده حريصا على تمثيل العراق جميعا. اذ سوف تجد في مجلس الكلية التي كان عميدها السني والشيعي والتركماني والمسيحي والصبي، كانت واحة حرية وتسامح صغيرة. معياره هو حب الوطن والكفاءة في العمل وليس أي شيئ اخر.

علم الدكتور صبحي ولده ابراهيم كيف يصبح انسانا ... ثم رجلا. يتذكر كيف كان عميد الكلية والاستاذ الكبير يترجل من سيارته التي اوقفها فجأة ... فقط من اجل ان يساعد شيخا كبيرا في السن على عبور الشارع. يدفعه دفعا لحمل جنازات الموتى من الاقارب والاصدقاء. كان يهيئه ليكون شريك الناس في الامهم، وربما لكي يتحمل القادم من الالام. يأخذه لعيادة المرضى، وحضور مراسيم العزاء للموتى (يسميها العراقيون الفواتح) كانت امرا اعتياديا. علمه ان لا يتعصب لفكر ولا ينتقد اخر.

(كأن ابواب الجحيم فتحت على بغداد) ... هكذا وصف العارف بالله الدكتور صبحي لزوجته يوم التاسع من نيسان عام الفان وثلاثة. يالها من جملة اختصرت الغارة الاولى . أكثر من ثلاثمئة طائرة متقدمة تحمل مئات الاطنان من حقد الشياطين على بغداد المستكينة المستسلمة. ومعها الاف من صواريخ التوماهوك والمطار الذي قصف بالنووي. جريمة يعلم كل سكان الارض من مرتكبها، ولكن لا أحد يستطيع محاكمته.



وعندما تسقط بغداد ... تسقط الدنيا. وكانها قلب العالم الذي ينبض بالحياة، او عقلها الذي ينير الكون بأسره. لم تمض بضعة أشهر حتى اغتال الحمقى والد ابراهيم. واصيبت دنياه فجأة بخلل كبير. اذ لم يكن يتوقع ابراهيم ان يدفن والده. (ترى لماذا يظن الصليب انه صار عظيما عندما صلب عليه يسوع، ولماذا انتشت النار عندما احاطت بابراهيم، ولماذا شعرت الرماح بطولها عندما رفع عليها رأس الحسين) ... اي شعب هو الذي يقتل انبيائه وأوليائه وعلمائه... سحقا لهم. ستبقى النار يطفئها الماء، وسيبقى الصليب مجرد خشبة، وسيبقى الرمح تافها وضعيفا وقصيرا.

منذ ذلك اليوم تحول ابراهيم الى رجل يبحث عن حلم اسطوري. لم يصل اليه احد ولا اظن سيصل اليه احد. انه يريد ان يحي الموتى. يريد أن يحي اباه، يريد ان يحي عراقه المحتضر، يريد أن يحي ايام بغداد الجميلة. استهواه عالم الخرافات الغامض، لعله يجد فيه جوابا لسؤاله. واستمرت تلك القصص تقفز على مكتبه واوراقه. قصص طويلة من عبدالله الحظرد وكتابه العزيف الذي يفتح بوابات العالم السفلي الثلاثة عشر، وامير ذلك العالم العفريت زيتون. وانتهاء بقصة الطبيب فيكتور فرانكنستاين الذي حاول اعادة الموتى الى الدنيا واكتشاف اكسير الحياة.

-٢-
اللقاء الاول

شعر ابراهيم بأن احدا يريده ان يستفيق من نومه. كانت الساعة اعلنت الثالثة ليلا. انتابته نوبة من الرعب، المصاحب لحالة غريبة من العجز حتى الشعور بانه مقيد بسلاسل من حديد. رجل ابيض كبير في السن يضع طاقية غريبة. يرتدي معطفا يضفي عليه هالة من الجلال رغم قدمه الواضح. سرعان ما سيطر عليه هاجس ان هذا الشيخ لو اراد به شرا لكان قادرا على فعله. جلس على فراشه يتأمله. اما الشيخ فكان يقابل نظراته بنظرات اعمق ترسل رسائل مفادها، اطمئن لست هنا لاؤذيك، بل لاحقق لك احلامك.

ابراهيم: من أنت ؟ وكيف دخلت الى بيتي !

الشيخ: انا من كنت تتوق للقائه. انا زيتون كبير العفاريت.

انتاب ابراهيم شعور غريب. اللقاء غامض وجذاب. انه زيتون الذي كان يفكر فيه دوما. وكعادته انساب من ذهنه شلال كبير او فيضان جارف من الاسئلة التي كان يود ان يوجهها له. لكن يبدو ان للعفاريت منطقا غير منطق البشر. فهي لا تحب الثرثرة. هل هذا هو سبب انقراضها او اختفائها؟ بادره صديقه الجديد وغير المتوقع.

زيتون : انـي لن استطيع ان احي لك الموتى.

لن اقدر ان اجلب لك من فقدتهم ... الذين رحلوا.

لكني استطيع ان احقق لك امنيتك الاخرى.

ابراهيم: حقا، وكيف ستفعل ذلك.

زيتون: هذا هو العهد بيني وبينك. ستفتح انت لي ولعفاريت البوابات الثلاثة عشر للعالم السفلي. وستخرج منها العفاريت لتنظف الارض التي تسكنها.

ابراهيم: وهل سيتركوننا.

زيتون: لاتخف. افتح انت البوابات ولن يقدر احد على الوصول الى هذا المنزل. سانتقم لك . وانت ستبقي البوابات مفتوحة.

خرج ابراهيم بعد ان حل الصباح تاركا كل اعماله ووظيفته. ذهب الى السوق ليشتري المرايا الكبيرة الثمانية التي كانت تنقص منزله. حملها الى منزله بشغف كبير. أخيرا، سوف ينتقم من الناس الذين قتلوا والده وامرضوا والدته حتى الموت وغسلوا دماغ زوجته.

وضع المرايا في كل غرف البيت. وانتظر حتى تحل الساعة الثالثة ليلا. وفي ذات الوقت وجد عنده صديقه الجديد زيتون

اعطاه اوراق كتب عليها بالعربية كلمات غير مفهومة. ثلاثة عشر مقطعا مع طلاسمها. ابتدأ ابراهيم برسم تلك الطلاسم على المرايا. لكل مراة طلسمها. وما ان كان يقرأ العزيمة المصاحبة للطلسم حتى تستحيل المراة ضوءا وهاجا يكاد يخطف الابصار. وتظهر منه ايدي واقدام ووجوه غريبة. تحول من غير ان يدري الى عبدالله الحظرد الجديد.

ابتدات العفاريت بالخروج من المرايا الى عالم الانس باشكالها المرعبة. اصبح لديه جيش قوي لا يقهر. ابتدات العفاريت تلعب بعقول البشر. وانتشرت الحرائق والحروب والقتل والدمار والسرقة والزنا. بدأت بلاده تحترق واصبح الناس وقودا لحرب غير معلنة. اما هو فكان يصعد الى السطح. يحمل معه الصولجان السليماني ويضع الخاتم الغريب الذي اعطاه له صديقه زيتون. احس بالامان وهو يتأمل العفاريت العظيمة التي تحرس منزله، والتي كان لا يراها الا هو.



لم يكن ابراهيم اللاعب الوحيد في عالم الارواح والجن والعفاريت. ادرك الاخرون ان هناك رجلا تحالف مع اقوى العفاريت، وانه قدم له وقبل منه عهدا مؤلما، عهدا لا يقبله الا انسان شعر بظلم والم شديد ووحدة لا تطاق. حاولوا الوصول الى منزله عبثا. كانت سياراتهم تتطاير امام المنزل. وتاتيهم الضربات من كل مكان، وفقدوا قدرتهم حتى على الصراخ عليه.

احترقت وخربت كل المنازل حول منزله، وهو يراقب المشهد. قررت ادارة الشرطة في النهاية ارسال قوة لاقتحام المنزل الا انها فشلت. انقلبت سياراتهم وتعطلت اسلحتهم. واضطر الحاكم في بغداد الى تكليف فرقة عسكرية بمهاجمة المنزل، لكن المفاجاة ان دباباتهم كانت تنفجر ما ان توجه

اسلحتها نحو المنزل. وانقلب الجنود ليقتلوا بعظهم البعض. قرروا اخيرا الاستعانة بالقوة الجوية. واتى سرب من طائرات F-16 المتطورة ليقصف المنزل من الجو. لكن الصواريخ انفجرت بعيدا عن المنزل وسرعان ما سقطت تلك الطائرات. عبثا يحاولون. بائت جميع محاولاتهم بالفشل. وظل الجميع في حيرة والم من ذاك الحريق الذي ابتدا في منزل واحد ليمتد الى العالم. كيف ينقذون العالم، لا يمكنهم ذلك الا بالوصول الى ذلك الشاب المسكين الذي اختطفته العفاريت.

-٣-
الحوار مع القديس

روفائيل ... اب كلداني. رجل طاعن في السن. فشلت قسوة قلوب الناس في ان تشيخ قلبه، رغم نجاح السنين في انجاز تلك المهمة على وجه. شعر الاب باهتزاز كنيسته العتيقة، وما ان خرج ووضع عينيه صوب السماء حتى احس بامر جلل. سرعان ما عرف القصة وقرر الذهاب الى منزل ابراهيم. تقدم الى باب المنزل. لم تجرؤ العفاريت على اعتراضه. كان اشبه بشخصية الساحر الابيض كاندالف في فلم سيد الخواتم هو وعصاه القديمة. نزل اليه ابراهيم وتواجه الرجلان اشبه بموجتي تسونامي تلطم بعضها بعضا. كان روفائيل خبيرا بالقلوب والعيون. وعندما نظر الى عين ابراهيم ادرك بانه ليس شريرا، وعرف ان قلبه امتلأ قسوة تحرق الكون ولكنها بقدر الرحمة التي فيه.



الاب روفائيل: يا ولدي... لا تترك نفسك لهذا الظلام. اغلق البوابة.

ابراهيم(بألم): قتلوا والدي بدون سبب . حرقوا قلب والدتي. امرضوها ... سرقوا بسمتها.

سرقوا زوجتي. لماذا ... لماذا ... سرقوا حياتي ودمروها .

ماذا فعلت لهم لاستحق كل هذا ؟؟؟

الاب روفائيل: يا ولدي ابراهيم ...

اني ارى فيك رضا جدك ابراهيم، ومحبة يسوع، ورحمة محمد ... لا تفعل.

ابراهيم: يا أبتي ... انهم لا يستحقون الحياة.

انهم يقتلعون الازهار والنخيل كل يوم.

انهم يقتلون القطط والعصافير كل يوم.

انهم يحرقون ذرات هذا التراب المقدس الذي خلقوا منه بالقنابل كل يوم.

انهم يقتلون ويحرقون ويذبحون بعضهم، فلماذا تريدني ان ارحمهم.

الاب روفائيل: يا ولدي... وماذا سيكون الفرق بينك وبينهم عندئذ.

لم يستعن جدك ابراهيم بالملك القاهر جبريل ليدمر الكافرين.

ولم يقفز يسوع من المبنى، ولم يقتل محمد من قتل عمه.

ابراهيم: انا لست يسوع ... انا مجرد طفل صغير. لا يعرف لماذا حرم من اهله وحبيبته.

الاب روفائيل: ولكنك تملك قلبا كقلبهم. اراه ممتلئا بالرحمة التي تكفي كل اهل الارض.

ابراهيم: انت مخطئ يا ابت. دعوت لهم في مكة، وعند النبي محمد، وعند الكاظم وابي حنيفة.

انظر اليهم ... يزدادون قسوة كل يوم.

يزدادون ظلاما كل يوم ... اكلت الاحقاد والاطماع اكبادهم.

انهم لا يبالون بشئ ولا باحد ... انهم لا يستحقون الحياة.

الاب روفائيل: يا ولدي ... ان الرب يريد ان يعلمهم.

علمهم ... كما علمهم ابراهيم ويسوع ومحمد ... انت معلم.

انت مولانا.

وهنا تدخل زيتون.

زيتون: لا تصغي لهذا العجوز الاحمق.

بأي شئ نفعتك رحمتك. من الذي مسح دموعك المنهمرة كل ليلة حتى الفجر.

لا تنسى ... احرقهم ... احرقهم.

الاب روفائيل: لا تستمع ... لا تستمع لصوت السواد والظلام.

يا ولدي ... انا معك. علمهم الحب، علمهم ان يهتموا، علمهم الرحمة.

تعال معي ... سأكون شمسك، وستكون انت مولانا.

انت رومي هذا الزمان.

انهم لا يحتاجون عفريتا ... انهم يحتاجون جلال الدين الرومي.

مولانا ... وولي الحب ... والرحمة.

ادرك الاب روفائيل بأنه امام رحمة الهية وهبة نورانية اضاعها البشر. تجلت في الارض انسانا، منذ ان نزلت الدمعة الاولى على وجنة ابراهيم. رحمة كسائر الكنوز في بلاد الرافدين، اشبعها العراقيون غدرا وتجريحا واذلالا وخيانة والما. لكن القلب الذي يستمد نور رحمته من السماء، تتجلى فيه صورة الخالق العظيم. ويرى بعينه لالئ من ذرات الخالق تتناثر مختلطة بنور الانبياء والاولياء وكل الصالحين. لا يمكن ان تهزمه كل عفاريت الدنيا، وكل ظلام الانس وظلمهم.

وقف ممزق القلب. تنهمر الدموع من من عينيه. استحال من عبدالله الحظرد الى مولانا جلال الدين الرومي. هناك نزلت قطرات من عينيه لم تكن دموعا بل كانت دما. معجزة اخرى في زمان ظن اناسه ان زمن المعجزات انتهى. اشاح بوجهه

الى زيتون المخادع، رمقه بابتسامة الحليف المخلص. وبحركة مفاجئة وغير متوقعة رمى الصولجان السليماني الى الاب روفائيل وقال له .

ابراهيم : لم يسجد منذ البدء، ولن يسجد الان.

يا ابتي دمر هذه المراة.

ودمر كل ظلام ومزق كل خرقة سوداء، ودمر كل حزن على وجه الارض.

ليحيا اللون الابيض والنور والافراح، لنرقص يا ابتي.

لن اكتفي بان اعلم اهل الارض الرحمة.

ساعلم العفاريت والشياطين ايضا الرحمة.

صدقت يا أبتي ... انا مولانا.

انا مراة الله.

انا امام العاشقين.

-٤-

صلاة الى روح الله في جهنم

تحول زيتون لينفجر غضبا. وتحولت يديه الى مخالب عملاقة. وارتفعت قرونه الحمراء. ونفث نفسه ريحا من جهنم نارا وريح سموم. احتضن ابراهيم وقفز به الى داخل المراة. وهوى الاب روفائيل بالصولجان على المراة ليحطمها. انطفئت الانوار من المرايا الاخرى. وهدأت النيران في المدينة. وعاد الناس الى رشدهم. انقشعت الغيوم السوداء اخيرا من سماء المدينة التي غطتها لايام طويلة. استفاق طفل صغير اسمه ابراهيم ايضا ... وابتسم بوجه والديه. انتهت جولة اخرى من الحروب التي لا تنقضي من تاريخ الانسانية المثقل بالظلم والسواد والحزن.



وضع الاب روفائيل صولجان زيتون السليماني في صندوق صغير. ركع على ركبتيه مع قلة من اصدقاءه على اختلاف اديانهم والوانهم. يصلي من اجل روح ابراهيم.

روح الله التي سقطت في الجحيم.

ملاحظة: لا تؤذي انسانا. لا تتباهى بأنك خدعت انسانا. لا تظلم انسانا. ولو قليلا.

لانك من دون ان تدري قد توقظ اقوى الشرور واكثرها فتكا على وجه الارض.

الراقص حول القبور

الراقص حول القبور

-١-

الطريق الى ابو غريب

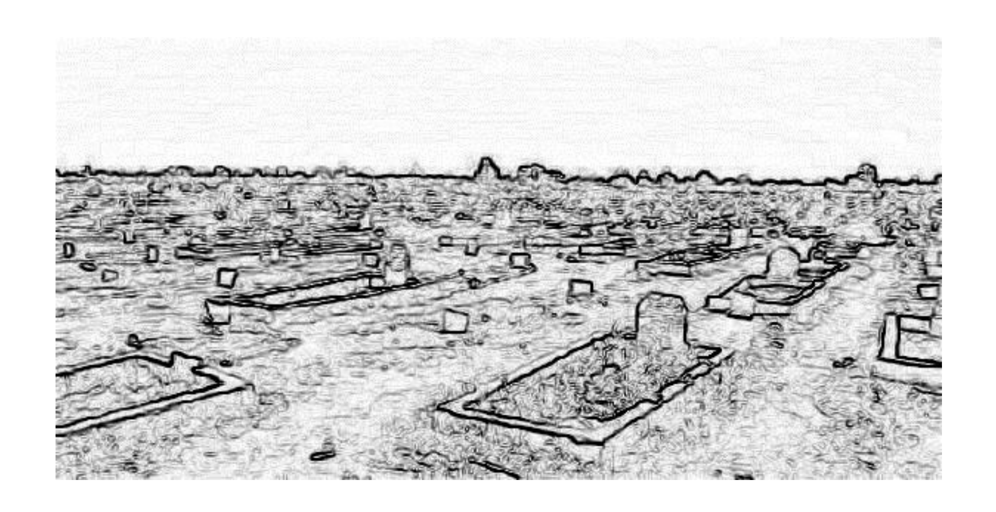
المكان: السوق القديم – مدينة الاعظمية.

الزمان: العاشر من شباط ٢٠١٦.

الوقت: الرابعة فجرا.

دخل عليه ابن خالته حمزة الغرفة ليخبره بأن الوقت حان ليحملوا اعز واخر انسان على وجه الارض الى مقرها الاخير. استجمع انور قواه الخائرة او ما تبقى منها. رجل في قمة عنفوانه، وخبرات متراكمة من مآسي الحياة وعلم كبير. ولكنه شعر ان كل ذلك تلاشى. كأن الاقدار انتزعت منه كل شئ، وأعلنت عليه قدوم اعوام الحرب. خرج مع ابناء خالاته الاربعة الى المغسل في سوق الاعظمية القديم، حيث باتت والدته لاول مرة منذ ثلاثة عشر سنة خارج منزلها. كان بالكاد يقف على قدميه. يخفي صرخة تهز الدنيا. ويعوض القلب كلامه بالدموع التي لم تتوقف. حملوا جسدها وانطلقوا. كأنهم يسيرون في موكب عرس مهيب. ورغم أن الكون بدأ في

التلاشي امامه الا انه سرعان ما بدأ يتذكر شريط حياتها. كيف يعرف انسان والدته؟ سؤال صعب جدا.



لم يكن في عائلتها ملك ولا وزير. كان جدها اشهر صانع للعقال العربي في بغداد. انه الشيخ حمودي ابو العقال. كان يصنع اجمل ما يمكن من العقال العربي. يقع محله في الفرع الثالث بعد التكية القادرية وسط بغداد. انها الثانية من اربع بنات. بنت باب الشيخ الجميلة. لا يمكن ان يتصور احد تشكيلة اقدارها.

قضت طفولتها في باب الشيخ وهي اقدم احياء بغداد، يعود زمانها الى العصر العباسي. وما ان جاء وقت الشباب حتى

انتقل والدها الى مدينة الحلة. الحلة مدينة تشتهر بامران. الاول، ان فيها مدينة بابل اول مدينة عظيمة بنتها الانسانية على وجه الارض. واول اعجوبة من اعاجيب الدنيا. نعم بنيت هنا في العراق وليس في المانيا ولا في امريكا ولا في كندا ولا في استراليا. والثاني، ان اهلها اطيب اهل العراق قلبا واكثرهم رحمة.

أكملت الاقدار طريقها لتنهي تعليمها في دار المعلمين العالية وهي كلية التربية في جامعة بغداد اليوم رئيسة جامعات العراق. هناك تعرفت على اثنتين من صديقاتها. ستكتب الاقدار ان تتزوج الاولى من اشهر شاعر للحب عرفته بلاد العرب. اما الثانية فستكون ابنة اشهر رجل عرفه العراق محاربا للدفاع عن اثاره.

وما ان انهت دراستها حتى قادتها الرحلة لتعمل مدرسة في مدينة الديوانية. الديوانية... مدينة ترسخة العروبة في عشائرها. منبع الكرم والضيافة. كل رجل فيها فارس عقاله نخوته وشهامته. وكل امراة فيها نبع صاف للحب والحنان. انها سفر الاخلاق والقيم التي لا تبلى. يتوسطها مزار كانه عرش عظيم لملك اسطوري. انه من يسميه اهلها بسبع الديوانية. احد ابناء الامام الكاظم. سلموه اهلها نياط قيادة مدينتهم. وحرمها هو على الغزاة الى الابد. وتنتهي الرحلة

بلقائها بالمعلم الفقير وطالب الدكتوراه صباح والد انور. والذي سيكون زوجها. والذي سيضيف لرصيد العراق بعد ذلك اربعين كتابا ومئات البحوث والمقالات. ان الحياة اذا ارادت لانسان ان يكون عظيما وضعته في مدار العظماء. هل يمكن ان تتخيلوا والدة انور الان؟

عجيبة كيف كانت تتصور وفق الظروف والحاجات، فتراها ساعة ترتدي جلبية البيت (يسميها العراقيون الدشداشة) اذا ما زارها اهل الحلة او الديوانية. تفرش الارض باجمل واشهى الاطعمة التمن (الارز) وانواع الكبة العراقية والسمك، وكل ما لذ وطاب كأنها صاحبة مضيف عربي كبير. وحين كانت تخرج برفقة زوجها الدكتور الى مكان في بغداد ترتدي اجمل الاثواب والفساتين واكثرها عصرية. أنيقة ومحتشمة كأنها شمس تشرق في أي مكان تذهب اليه. تزينها بأجمل العطور. الا ان أبرز ما كان يميزها هو ذلك القلب الطفولي الذي لا يعرف الحقد. وكأنه قلب راهب صوفي او قديسة في زمن اصبحت فيه الخطايا حسنات. ابتسامة من القلب ودمعة من القلب أيضا. زوجة وحبيبة ومعلمة وطباخة وطبيبة والاهم من كل ذلك انها كانت أما.

-٢-
الليلة الاولى...اغفري لي يا أمي

المكان: المقبرة – مدينة أبو غريب.

الزمان: الأول من أيلول ٢٠١٧.

الوقت: العاشرة صباحا.

أتم اخيرا ما ظن انها رسالته الاخيرة. تاركا للاجيال القادمة من ابناء بلده رسالتان بجانب كتبه الاربعة الاخرى. الاولى، رسالة الحب المستحيل. وهي قصص تخبرهم ان العشاق هم ابطال العراق الحقيقين، وان الاوطان تبنى بالحب لا بالكراهية والاحقاد. والثانية رسالة في المذهب الرابع انه التصوف. تظهر وجه الاسلام الحقيقي ورسالة محمد المبنية على محبة الاخرين وقبول المختلفين. وقف على قبر والدته الحبيبة. نزلت الدموع بلا استئذان وفي خشوع في حضرة الام. ان اطهر الدموع هي دموع الام على ولدها ودموع الولد على امه.

أنور: امي ... اغفريلي ... سامحيني.

اليوم خلصت مهمتي ورسالتي ويا العراقيين.

اعرف انتي وابوي ... تركتوا هذي الارض امانة عندي.

لكن العراقيين ما يسمعون ... وقوى الظلام اكبر مني ... هذا اللي اكدر عليه.

أنور: امي ... اني تعبت من الحياة . اريد اعوفها.

اريد ابقى يمج ... اخذيني بحنضج.

انور: اليوم راح اكعد اكولج كول اللي صار بيه من يوم اللي اجيتي هنا وعفتيني.

جلس الى قبرها كما كان يجلس الى جوار سريرها. راح يحدثها عن كل صغيرة في حياته طوال سنة ونصف. اخبرها كم يفتقد طعامها وكم كان طيبا، وكيف ان الناس صاروا يطعمونه شفقة عليه. وكيف كان يكره كل ما يجلبوه له من الطعام الممزوج بالشفقة. صار يكره الاكل اكثر من اي شئ اخر. أخبرها انه بقي وفيا لطريق والده. وانه كان يفني وقته في القراءة والكتابة. وكيف أن الله فتح عليه في علم الحاسوب، وبأنه صار يفكر في اختراع متقدم قد ينقذ الحياة على وجه الارض. ورغم ذلك لم يعد يستطيع تحمل البقاء مهمشا في جامعته. لم يعد يستطيع البقاء جالسا في غرفته القديمة الى جوار حمام النساء اكثر من سبعة سنوات.



أنور: اسف يا امي لانه بيتكم مهجور. بودي لو يبقى مفتوح ولو يبقى مضيف وبابه مفتوح للمظلوم والملهوف.

أنور: اسف يا امي ... لانه ما مليته بالاطفال. اتمنيت يكون عندي طفل يا امي ولو واحد ... لكن مو بيدي شسوي.

اخبرها ان بيتها مازال كما هو، الا من الاتربة والغبار الذي علاه. وانه لم يشتر ملابس جديدة منذ رحلت. ولم يشتري اي شئ للبيت بعدها. توقف الزمن منذ رحيلها. استرسل في طلب الغفران والاعتذار مشفوعا بنهر من الدموع.

أنور: اغفريلي يا امي... ما اكدر ادخل امراة اخرى للبيت. حاولت ... لكن فشلت.

اغفريلي يا امي... اعرف اني خطأ. لكن اني ... احب زوجتي.

سامحيني يا امي ... اني بعدني احبها. انتي زرعتي الوفة بيه.

أنور: ما اكدر يا امي... ماكو امراة راح تدخل لهذا البيت وراكم.

ما اتقبل صوت وحدة غيرج بالبيت.

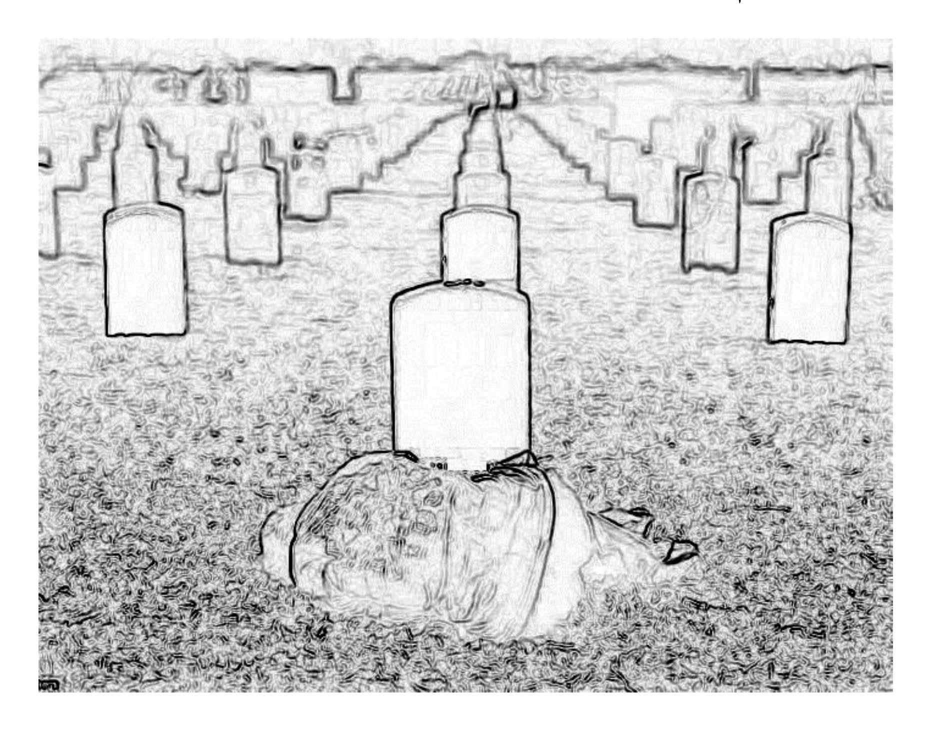
ولا اكدر اتعرى كدام امراة ثانية غير زوجتي...

ما اكدر ... مو بيدي.

أنور: حاولت وفشلت ... حتى ربي ميقبل وحدة غيركم تجي للبيت.

مضت الساعات ولم يكن للوقت مكان ابدا. غابت الشمس وخرج كل من في المقبرة. تلاشت الاصوات وحل السكون فيها. كان انور مسترسلا في الحديث مع والدته. فتح ضوء الهاتف، ومعه اغنية لهيثم يوسف (وينة هوه). جلب معه مجموعة من علب السكائر ستكفيه لثلاث ليال. كان يضحك

تارة ويبكي أخرى. تذكر الجميع، كل من مروا في حياته. حكى لها ادق التفاصيل. وكأنها كانت تستمع له وتطالبه بكل تلك الاحاديث. انه يعرف امه. كان هو احب انسان لها. انه جوهرة قلبها وثمرة حبها الكبير. اما هو فكأنه كان يعوض كل اللحظات والساعات التي لم يكن بجانبها فيها. أخيرا لم يدرك ان النوم هجم عليه ، وانه نام ليلته الاولى فوق قبر والدته. وابتدأت الرحلة. رحلته الاخيرة. صرخته الكبيرة لرفض قسوة العراقيين ولا مبالاتهم.



-٣-
الليلة الثانية...حرب في المقبرة

المكان: شارع التانكي – مقبرة أبو غريب.

الزمان: الثاني من أيلول ٢٠١٧.

الوقت: الخامسة فجرا.

أعلنت الشمس بوقاحة عن نفسها فوق هجير رمال مقبرة ابوغريب. استفاق انور. بدأ قلبه يرتجف، وتشققت شفتاه، وحفرت الدموع نهري دجلة والفرات على وجنتيه. بقيت لديه قطرات من الماء غسل بها وجهه. واستمر على منوال اليوم الاول رغم كل الجوع والعطش والحر والالم، الا انه كان سعيدا. وكانت تلك الليلة هي الاجمل منذ سنة ونصف. واخيرا استطاع ان يعرف طعم النوم. نعم، ولكن في مقبرة. كيف تكون احلى نومة في مقبرة؟ كان الاطفال في المقبرة اخبروا الشيخ ياسين عن ما رأوه.

الشيخ ياسين... حارس المقبرة. رجل في الستين من عمره. كان ضابطا في الجيش العراقي. عروبي... دليمي... من ابوغريب. منحته سنوات الحروب وجثث الموتى قلبا قاسيا

وعينا ثاقبة واحساسا لا يخطئ. شارفت شمس اليوم الثاني على الانتهاء. وكانت مقبرة ابوغريب على موعد مع الاستعداد لمعركة من نوع مختلف. وجاءت مع الغروب مجموعة من الكلاب الكبيرة المتوحشة. دخلت المقبرة من احدى فتحات سياجها. وراحت تقطع شارع التانكي. تسير في انضباط غريب الواحد تلو الاخر. حتى وصلت الى مكان انور. وطوقته بشكل دائري. لم يكن ليخاف من الموت، بل كان يتمنى ان تنهشه الا انها جلست في هدوء غريب حوله. وسرعان ما غطت السماء سربان من الغربان والحمائم. اتت في غير وقتها. انقضت على سماء المقبرة وكانها طائرات مقاتلة جاءت لتنفذ مهمة موكلة اليها. حطت فوق الاقفاص الحديدية الصدئة التي تحيط بقبر والدة انور. وانفجرت الرمال على كور من النمل متراصة كأن سليمان بنفسه واقف امامها.

جلب الشيخ ياسين مساعده واتجه نحو انور حاملا معه بندقيته القديمة. اقترب منه. شعر ياسين بأن هناك امرا مختلفا مع هذا الشاب. لم يكن أكثر ما يقلقه الكلاب والغربان والحمام والنمل الذي تجمع حوله ولكنه احس بأن هناك الاف الناس من حولهم. ساد هدوء مخيف للحظات. وقف أحد الكلاب مزمجرا ومبرزا انيابه في اشارة تحذيرية. رفع ياسين بندقيته تجاه الكلب. وزحف انور ليضع نفسه امامه، ورفع كفه تجاه ياسين.

أنور: انصحك لا ترمي.

ياسين: يا ابني حرام عليك اللي تسوي بنفسك.

أنور: أريد ابقى يم أمي... وعد مني عكب باجر ينتهي كولشي.

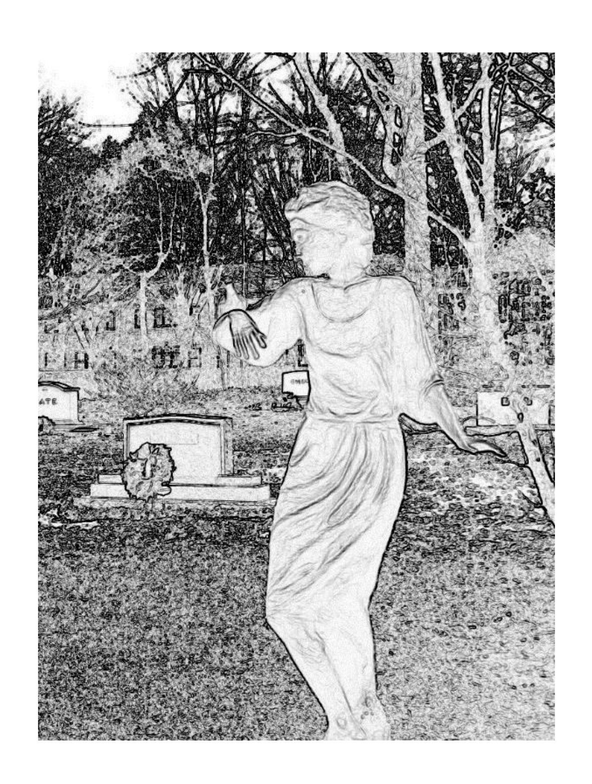
وسرعان ما تحرك كلب اخر ليقف امام انور كأنه يحميه بجسده. مرت لحظات وضع كلا الرجلان عينه في عين الاخر. أحس ياسين بقوة جبارة تطلب منه التوقف. وفجأة راحت نباتات العاقول المحيطة بقبر والدة انور تحترق لوحدها. كأنها تتحول الى مصابيح تنير حوله. انزل الرجل بندقيته مذهولا. وعاد الى مكانه. فتح أنور الاغاني في هاتفه. كان يحب ان يسمع هيثم يوسف كالعادة.

هيثم: ماكو بغيابك نوم... بالفركة عشت مهموم.

قلبي من الفرح محروم... بعدك صرت مجنون.

انتهت المعركة قبل ان تبدأ. تقبل ياسين وحراس المقبرة من الشرطة ضيفهم الجديد. حملوا المناظير وراحوا يرقبونه من بعيد. يبكي تارة ويضحك اخرى. يرقص حول قبر والدته مثل طفل صغير يرقص حول امه فرحا. والكلاب والغربان

والحمائم والنمل تحرسه وتستمتع برقصه. احس الجميع بشعور غريب. ان المقبرة في حالة فرح!.



-٤-

الليلة الثالثة... رقص حتى الموت

المكان: شارع سهام الشيخلي – مقبرة أبو غريب.

الزمان: الثالث من أيلول٢٠١٧.

الوقت: الخامسة مساءا.

قرر الشيخ ياسين امام هذا الحال الاستعانة برجل غير تقليدي. انه الشيخ موفق. وخلافا للفكر السلفي السائد في ابوغريب كان الشيخ موفق يعتنق المذهب الصوفي. انه صاحب العهد الرفاعي.

ياسين: شيخ موفق ... تعال وياي. يمي ولد بالمقبرة صار له يومين نايم على القبر مال امه وما اكدر اوصله. احس الدنيا حاجزته عني.

وصل موفق الى القبر وانور. كان الجوع والعطش والحر انهكه الى أبعد الحدود. عندما يلتقي شيخ الرفاعية مع ولي

المساكين يصبح لكل شئ طعم اخر. تحاور الرجلان بقلبيهما. تحاورا بلغة المكاشفة التي لا يفهمها الا الصوفية.

شيخ موفق: يا ابني ... اعرف انت انظلمت، واعرف ادموعك ما نشفت من سنين.

اعرف انت عربي ما تتحمل الذلة.

اعرف انته وفي ... ما تتحمل فراك التحبهم.

أنور: تعبت شيخي من العيشة وحدي والشياطين فوكاي.

شيخ موفق: يا وليدي... الشياطين ما تحارب الغوي والضال.

الشياطين تحارب الولي والمؤمن.

والدنيا ما تنطي نفسها للشريف والطاهر.

أنور: بعد ما أريد اعيش بالدنيا ... اريد ابقى ويا امي ... أريد امي.

شيخ موفق: اني اعرف انت اتشوف... ارواح الموتى كامت من فراشها. كولها مقهورة عليك.

وهاي الحيوانات والطيور صارلها ثلاث ايام ما ماكلة ... تحميك.

وامك ... مقهورة متكدر اتكولك روح.

انور: مستحيل شيخ... ما ارجع للعراقيين.

ما اتحمل قسوتهم وظلمهم بعد.

ما اكدر ... حتى اللكمة والمي صار تعذيب.

شيخ موفق: اتق الله يا وليدي ... حرام اللي تسوي بنفسك.

وحرام اللي تسوي بامك وبالناس ... لا تكلبها بينا يا وليدي.

انور: اني شنو ذنبي شيخ ... اني شنو ذنبي.

حرموني من ابوي ومن امي ومن زوجتي ... اني شنو ذنبي.

شسويت الهم ... بشنو اذيتهم.

ليش ذلوني وحاربوني ... ليش.

أدرك الشيخ موفق ان الكلام بلا فائدة. لم يكن ما يجري لاجل انور. كان يجري لاجل والدته. انها القديسة التي استدعت كل قوى الدنيا من قبرها لتحمي ولدها. ان الله يحميه لاجلها، لاجل ان يبقى بقربها. اصبح القرب منها حاجته الوحيدة من الدنيا، وراحته الابدية في النوم والرقص حول قبرها. أطرق الرجل رأسه. وانسحب باجلال وحزن مهيب. التقى ياسين في طريقه.

شيخ موفق: اتركوه... ماكو احد يكدر يوصل انور الليلة.

القبر محوط بالف روح وروح. اليوم باب السماء مفتوحة فوك المقبرة.

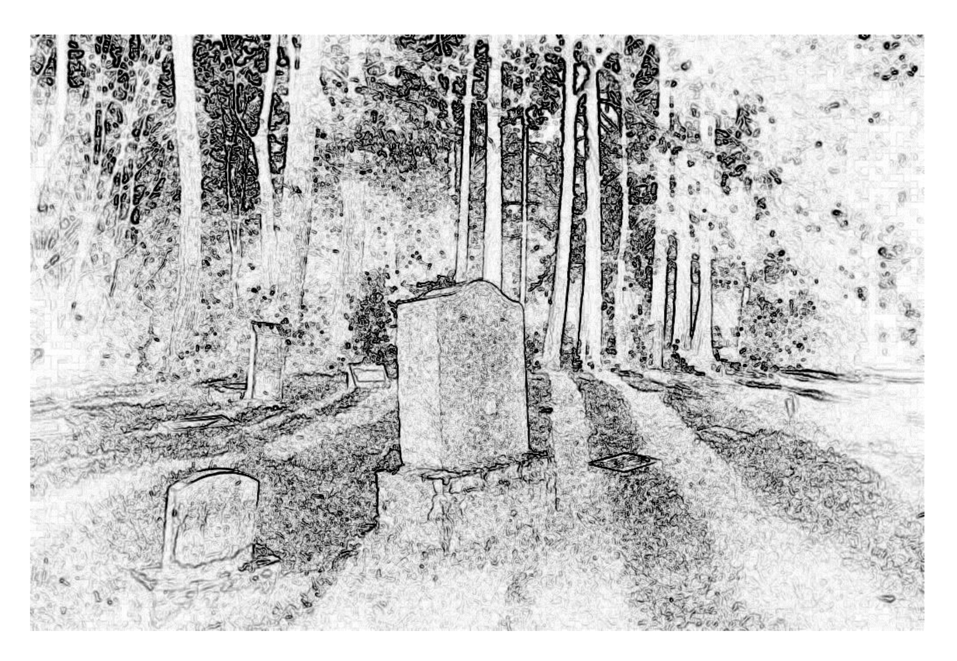
ياريت اتشوفون اللي اكدر اشوفه. الانوار والملائكة والارواح.

اليوم روح طفل طاهرة نالت الغفران. واخذت جواز العتق من الدنيا.

يابوي... احس السماء راح تنهار من الحب اللي بين هذا الولد وامه.

جلس موفق وياسين وشرطة المقبرة يرقبون الفتى يرقص باكيا حول قبر أمه. ينادي بأعلى صوته (يا امي...اريد امي). مرت الساعات وكأن السماء وكل من في المقبرة ينتظرون مولودا جديدا. وفجأة لمع عمود من النور انشقت عنه السماء الى القبر. لم يجرؤ الشيخ موفق على الذهاب الى ناحية القبر، الا انه احس بأن الامر انتهى. رغم ان اغاني هيثم يوسف مازالت تسمع. انطفأت نباتات العاقول. وشاهد أحد الشرطة الكلاب وهي ترحل، ولم تلبث ان طارت بعدها الغربان والحمائم. وعاد النمل الى حياته المنتظمة.

انطلقت اصوات الآذان معلنة دخول صلاة الفجر، ودخول اليوم الرابع لقصة انور في مدينة ابوغريب. ابوغريب تلك المدينة الصغيرة التي فضحت وهزمت طاغية هذا الزمان. هزمتها عندما ارت العالم حقيقة امريكا وكيف عذبت السجناء العراقيين واغتصبت آدميتهم بوحشية لم يعرفها التاريخ من قبل. ابوغريب مرقد القديسات وصراط الدنيا ومذبح الغفران وملتجأ الايتام والخائفين.



وصل موفق وياسين اليه. وجدوه نائما نومته الابدية والدموع مازالت على وجنتيه. اتصلوا بجامعته ليطلبوا من زملاؤه اخبار اهله بالقصة. جاء الناس تقاطر الاهل والاصحاب ليروه ويدفنوه. وتسألوا كيف وصل انسان بينهم الى هذه

الدرجة من الوحدة والالم الى حد التخلي عن حياته من دون ان يلحظوا. قام الشيخ موفق باجراءات الدفن. ولكن اغرب شئ هو ما قام به ياسين. لم يستطع هذا الرجل تحمل ما شاهده. واراد ان يعرف العراقيون والعالم اجمل واكبر قصة حب في الدنيا. حمل فرشاة وعلبة من الصباغ الابيض وتوجه نحو التانكي الصدأ وكتب عليه : " شارع سهام الشيخلي" . اصبح للشارع اسم جديد بدلا من شارع التانكي. وصار زوار المقبرة يتسألون من هي، وكيف عاشت، وكيف ربت ابنها...

ملاحظة: حتى اعظم الجيوش واكبر قوى الارض لا تستطيع ان تفرق بين ام وولدها الوحيد.

كلمات تائـهة في
زمان اضاع بوصلته

كلمات تائهة في زمان اضاع بوصلته

قالت لي أمي ذات يوم (ان الف عصفور لن تملأ القدر) . وبعد اربعين تموزا اكتشفت كم كان كلامها صائبا رغم بساطته. واتمنى ان القاها لاخبرها ... ان كل عصافير الدنيا لم تملأ القدر !

****

قرأت في كتب التاريخ العربية (ان العرب كانوا يسترشدون بالنجوم ليعرفوا طريقهم) . ولكن كل تلك الكتب نسيت ان تذكر شيئا ... كيف كان العرب يعرفون طريقهم عندما تسقط جميع النجوم فجاة من سمائهم .

****

ان اتعس رجل على وجه الارض هو من حرمته الاقدار من امراءة جميلة تضحك له وحده من كل قلبها .

****

نحن دائما شعب الخرفان الذي يضع عينيه على كلب الراعي ليقرر له مكانه . وان لم نجد كلبا صنعناه . بغض النظر عن وصف ذلك الكلب . الباشا ، الزعيم الاوحد ، القائد الضرورة او مولاي ... ورغم تلك الاوصاف يبقى الكلب كلبا.

****

نصيحة لكل قائد ... لا تصلح بقومك الا بقدر ما يصلحون بك .

*****

عندما رقص شمس التبريزي لصديقه جلال الدين الرومي وسط مسجد قونية الكبير ... قتله الاتراك ورموا جسده في بئر مظلم . ثم عملوا له التماثيل ورسموا له اجمل اللوحات وكتبوا عنه رسائل الدكتوراه . يا ترى ماذا سيفعل بي العراقيون لو رقصت غدا وسط الجامعة المستنصرية .

لماذا تضع الحياة او الاقدار الكنوز تحت ارجل الحمقى .

لماذا وضعت النفط تحت اقدام عشاق البعير وعبدة الاصنام .

لماذا وضعت كنوز الذهب تحت اقدام الحشاشين والمساطيل

الذين يؤمنون بسحر فرعون وعظمته .

لماذا نزلت المعرفة في بابل .

لماذا تكون مراة الله دوما عند من لا يبصرون.

عندما قال الحلاج ... رأيت الله .

صلبوه على خشبة ... مثل يسوع .

انا لست خجلا او خائفا .

انا مراة الله ... نعم ، انا مراة الله .

احيانا ... يحتاج الجسد الى تلك الخشبة ، التي يصلب عليها .

يستوي النور والعتمة ، الحياة والموت .

اذ ما فائدة ان ترى اطراف الكون ،

وكل من على الارض لا يبصرون .

***

يكاد القلب يظلم بنور الدنيا .

وتخفت في سمائه نجوم الحقائق.

ويتأخر بزوغ شمس الولاية .

يترنح حرجا بين الظهور والاختفاء .

****

لنسرق مصطلح الانتحار من اطباء علم النفس.

الانتحار ... حرام ... كفر ... ملعون .

كلمات تربينا عليها ورغم ذلك بقي الانتحار

جذابا ... غامضا ... له قوة من نوع اخر ، مغر .

انه صرخة لمن فقد القدرة على اسماع الاخرين . اخر صرخة.

لماذا يحرمون علينا الانتحار ... هل تعلمون ؟

لانه من الاشياء القليلة التي نختارها نحن بملئ ارادتنا .

لانها تعلن هزيمة الكبار والاغنياء والحكام ، وتخبرهم انهم لا يستطيعون الانتصار علينا .

للانتحار صور كثيرة .

من الممكن ان يكون الحب انتحارا ،

والزواج انتحارا ، والابتسامة انتحارا ،

والكلام انتحارا ... وحتى الصمت .

****

نوع خاص من التعذيب وربما من الاقدار الجاذبة .

الموت وحيدا فوق العرش اشبه بالنبي سليمان ...

يموت وحيدا على عرش عظيم ... عرش سجدت له الدنيا .

وصولجان يدور به الكون

ورغم ذلك لم يستطع ان يفر من الموت وحيدا .

رغم امتلاكه علما يقيد الدنيا ، ومعرفة تتقوض لها القلاع .

اعطاه الله كل ما يتمناه ... مقابل ذلك جعله يموت وحيدا .

كأنه اكبر ثمن باهض يدفع في الدنيا ... الموت وحيدا .

ثمن النبوة ... ثمن الولاية ... كنت نجما

ثم صرت شمسا ... ثم احترقت ... وحيدا ... ومت وحيدا .

****

هل الحوريات والعفاريت موجودة ؟

سؤال سيغرق فيه كل فلاسفة الشرق . الحورية ذات العيون الواسعة وذيل كذيل السمكة. تأخذك الى عالم سحري تحت البحار، حيث كل شيئ جميل . طبعا لا يمكن ان ننسى الاخ العزيز ميطاطرون وعافيطورش وناكر ونكير ... الذين لم يرهم احد . الكل سمع ولكن احدا لم يراهم.

ترى لماذا لا تظهر الحوريات والعفاريت في طوكيو مثلما تظهر في بغداد . على اية حال اخترع اليابانيون كراندايزر رجل الفضاء الذي اتى من كوكب فليد لينشر العدل والسلام ويحارب الاشرار. لكل امة من الشرق عفاريتها وحورياتها سواء كان قادما من الماضي والعالم السفلي ، او اتى من المستقبل على سفينة فضائية.

سؤال برئ ، لماذا لا تظهر العفاريت والحوريات في برلين او جنيف او لندن كما تظهر في بغداد او نيودلهي او قم . لماذا لا تظهر في جامعة كارديف او جامعة برنستون او معهد ام.اي.تي كما تظهر في الجامعة المستنصرية او جامعة القاهرة او جامعة دمشق.

هل اخترع الشرق كائناته الاسطورية ، ولماذا ؟

هل صارت الحياة معها أجمل ؟

هل اراد تعويض ضعف الجسد وقصور الحواس بتلك الكائنات؟

ومن هو الاكثر صوابا ، الغرب بعالمه الواقعي وفلسفته الوجودية التي تقود الى اليأس ،

ام عالم الشرق المليئ بتلك الحوريات والعفاريت ؟

اسئلة تصعب الاجابة عنها .

هل اثقلت تلك الحوريات والعفاريت الشرق ؟

هل اصبحت سدا كبيرا يمنعه من رؤية البحر الجميل ؟

ربما آن الاوان كي نحطم ذلك السد العظيم الذي بنيناه في عقولنا. آن الاوان لكي نطلب من ميطاطرون وناكر ونكير ان يحزموا حقائقبهم ويرحلوا من بلادنا . ويأخذوا معهم كل الملائكة المجنحة والجن العاشق . انا لا اريد ملائكة ولا جانا ولا حوريات ولا عفاريت ...

اريد ان ارى انسانا ... انسانا فقط .

لا يملك قدرات خارقة . لا يملك سوى ضعفه وخطاياه الجميلة ... اللذيذة.

****

يحتجزني في غرام كاسير او نبيل عليه دين كبير.
اذا تجلى له يقطعه بسيف صبابة قاطع، لتنزف الروح دما من الوجد.
ينازعه له شوق لا يملك معه شيئا، كالاغصان التي تحركها

الرياح كيفما تشاء من دون حيلة لها.
حتى اذا استحكم الحال تيم العقل، وذاب المحب في المحبوب.
***

احيانا يصبح الموت اجمل من الحياة ، واحيانا يصبح الحلم الوحيد الذي نفكر فيه ، ربما يفقد بعض الناس فكرة الخوف من الموت ليصبح الحبيب المنشود ، كيف يصل الانسان لمرحلة يعشق فيها الموت ، انه اشبه بامراة لعوب ، كلما اعلنت حبي له ، امتنع عن زيارتي.

***

الحياة مثل الحرب ، ترميك في خنادق غير متوقعة وتجد نفسك مع اناس لم تفكر فيهم ، ولكنك ستكون مستعدا لتحارب معهم كتفا بكتف حتى النهاية وبدون مقابل.